
محاضرات
في تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية





تأليف:

الدكتور عبد الله الفياض

مصدر الفهرسة:	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC:	DS35.63 .F35 2019
المؤلف الشخصي :	الفياض، عبد الله - مؤلف.
العنوان:	محاضرات في تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية /
بيان المسؤولية:	الدكتور عبد الله فياض.
بيانات الطبع:	الطبعة الاولى.
بيانات النشر:	كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠٢٠ / ١٤٤١ للهجرة.
الوصف المادي:	١٣٣ صفحة ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر:	(العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٧١٤).
سلسلة النشر:	(مركز كربلاء للدراسات والبحوث ؛ ١٣١).
تبصرة ببليوجرافية:	يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ١٢٣-١٢٦).
مصطلح موضوعي:	العالم العربي - تاريخ - العصر الجاهلي.
مصطلح موضوعي:	التاريخ الإسلامي - عصر صدر الإسلام.
مصطلح موضوعي:	التاريخ الإسلامي - عصر الخلفاء الراشدون.
مصطلح موضوعي:	التاريخ الاسلامي - العصر الاموي.
مصطلح موضوعي:	الفتنة الكبرى.
مصطلح موضوعي:	السيرة النبوية.
مصطلح موضوعي:	الفتوحات الاسلامية.
اسم هيئة اضافي:	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مركز كربلاء للدراسات والبحوث. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية





الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
مركز كربلاء للدراسات والبحوث

الكتاب: محاضرات في تاريخ صدر الإسلام والدولة الاموية

المؤلف: د. عبد الله الفياض

الناشر: مركز كربلاء للدراسات والبحوث

الطبعة: الأولى

السنة: ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

جمهورية العراق/كربلاء المقدسة

00964 7719491210
00964 7814187625

www.c-karbala.com

info@c-karbala.com
karbala.center1@gmail.com
karbala.center1@yahoo.com

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد (٤٩٧) لسنة ٢٠٢٠م




بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

استهدفت من وضع كتابي هذا تيسير المراجعة على الطلاب من جهة، وتجنيبهم مشقة كتابة المحاضرات اثناء القائها في قاعات الدرس من جهة أخرى. واسميت الكتاب المذكور (محاضرات في تاريخ صدر الإسلام والدولة الاموية). ويترتب على ذلك انني لا انزل كتابي هذا منزلة الكتب التي تناولت موضوعه بصورة مفصلة ومتقنة. وبالرغم مما سبق ارجو ان يجد فيه القارئ ما يفيد.

وتوخيت في (المحاضرات) التي اقدمها للقارئ الكريم معالجة التاريخ السياسي للفترة موضوع البحث، دون ان اهمل تاريخها الفكري و الاقتصادي.

وقد توسعت في بعض أجزاء الكتاب، واقتضبت في البعض الآخر تبعاً لمتطلبات المنهج المقرر وحاجة الطلبة في كلية التربية من جامعة بغداد.

وختاماً ارجو من القارئ الكريم ان يتفضل علي بملاحظاته وتعليقاته التي ارجو ان اهتدي بها لتصحيح ما ارتكبه من أخطاء دون قصد والله ولي التوفيق.

الدكتور عبد الله الفياض

بغداد – الثاني من أيلول ١٩٦٧

الفصل الاول:

بلاد العرب وسكانها قبيل ظهور الاسلام

بلاد العرب او جزيرة العرب عبارة عن سطح تحيط به الجبال البركانية من الغرب والجنوب وينحني قليلا نحو الخليج العربي وسهول الفرات، وتعادل مساحته تقريباً ربع مساحة أوربا. واورد الدكتور جواد علي في الجزء الاول من كتابه الموسوم بـ (تاريخ العرب قبل الاسلام) معلومات مفصلة عن جغرافية بلاد العرب وعن سكانها[1]. ونشأت امارات عربية خاضعة لنفوذ الفرس و البيزنطيين على الحدود الشرقية و الشمالية لبلاد العرب. وتضم بلاد العرب الغربية منطقتين رئيسيتين هما: اليمن و الحجاز.

واليمن او "البلاد السعيدة" كانت في جميع العصور مشهودة بثروتها وخصبها. وتدل آثار اليمن على ماضيها السياسي و الاقتصادي اللامعين.

وقد دلت ابحاث نيوبهر **Niebuher** وفورسكال **Forskal** وجوزيف هاليفي **Halevy** على ان حضارة عظيمة قامت في بلاد اليمن والمناطق المجاورة لها على الشاطئ الجنوبي لبلاد العرب. وعاشت في اليمن اقليات يهودية ومسيحية كبيرة العدد، كما تعرض اليمن لغزو الاحباش و الفرس قبل ظهور الاسلام بقرن واحد تقريباً.

اما الحجاز فهي بلاد وعرة، وبخاصة بالقرب من مكة التي تقع على بعد خمسين ميلا من شواطئ البحر الاحمر. ونحو من ثلاثين ميلا من روابي "جبل القرى" الصوانية. ويجد المرء في الحجاز الصخور الجرداء التي تعكس اشعة الشمس الملتهبة، والاودية

(١) طبع الكتاب المذكور ببغداد سنة ١٩٥٠م.

المجدبة الا من قليل من الكلاء الذي ينبت في بعضها، والذي ترعاه الانعام في بعض فصول السنة. غير انه الى الشرق من هذه البلاد الجرداء، توجد بقعة مزدهرة مكسوة بالخضر والاشجار الوافرة الظلال، ينبت فيها التفاح والتين والرمان والخوخ والعنب بكثرة، وتعرف بالطائف. ويطلق اسم "تهامة"، وهي بلاد كثيرة الرمال، على سهول الحجاز واليمن، ويطلق احياناً على القسم الجنوبي من الحجاز.

وتتكون المنطقة المحيطة بيثرب ارض بركانية ذات خصوبة كبيرة، ويعد النخيل من اشهر محصولاتها.

وفي شمال الحجاز يمتد طريق تجاري على طول البحر الاحمر من خليج العقبة الى المدينة.

مدن الحجاز

قامت في الحجاز مجموعة من المدن من اهمها مكة ويثرب وينبع وخيبر والطائف.

مكة:

كانت مكة مدينة مهمة لأنها تكونت حول نقطة مياه. والمياه، كما هو معلوم، عنصر حيوي في البلاد ذات الجفاف الدوري الطويل امثال الحجاز. ويضاف الى هذا الماء (بئر زمزم) وجود معبد مقدس هو الكعبة. وكانت طرق القوافل تمر بمكة بحكم الطبيعة. واصبحت مكة بسرعة مكاناً لأهم الاسواق الوثنية الكبيرة التي كانت تعقد بالقرب منها حيث يجتمع الحضر والبدو اثناء الاشهر الحرم التي يمتنع فيها الغزو. وحصل ان سيطر العرب على طريق التجارة في غرب بلاد العرب خلال النصف قرن الذي سبق ظهور الاسلام. وقد يكون مرد ذلك الى نشوب الحرب بين الفرس والبيزنطيين، وما تبع ذلك من عرقلة طرق التجارة عبر العراق.

ويصعب علينا، نظراً لندرة المصادر، ان نقرر متى اصبحت التجارة عاملا مهما في حياة مكة، ومع ذلك يمكننا ان نقرر بأن اعتماد اهل مكة في الفترة التي سبقت الاسلام اصبح على التجارة اكثر منه على الاقتصاد البدوي. وهذا لا يعني ان اهل مكة جميعهم تركوا حياة البداوة. اذ كنا نجد كثيراً منهم يسدّ متطلبات حياته من قطعان الابل، كما ان قسماً منهم يعيش على ما يكسبه من اجرة الابل التي تحمل التجارة من اليمن الى موانئ البحر المتوسط وبالعكس. وصحب بروز التجارة، كعامل رئيس في حياة مكة، تغيير في العلاقات الاجتماعية للمكيين. وكان من بين مظاهر التغيير الاجتماعي المذكور هو تضامن الجماعة في مكة اصابه وهن. اذ ان التضامن اللازم لحياة المجتمعات البدوية لم يعد ضرورياً في مكة. واصبح تجار مكة يعملون على تحقيق مصالحهم التجارية بصورة اقوى مما يعملون على جلب رضا الافراد من اهل مكة. يضاف الى ذلك ان الملكيات الجماعية تقلصت، ولم يعد التجار يولون عناية بالضعفاء من المجتمع المكي. وبالرغم من ان مسؤولية الدفاع عن المدينة وحفظ مصالحها، تقعان على كاهل المكيين جميعهم، كما حصل في معركة بدر مثلاً، فأن الارباح كانت تنحصر في يد الاغنياء. ويبدو ان نوعاً من النزاع الناتج عن اختلاف المصالح قد حصل في مكة. وحصل النزاع المذكور بين كبار الاغنياء وبين ذوي الدخول المعتدلة. واتخذ الاغنياء ثروتهم بمثابة ضمان لهم، بينما شعر الآخرون بأنهم لا ضمان لهم لفقدان الاحساس بمصلحة الجماعة من جهة، ولضعف قوة الاعراف التقليدية من جهة اخرى. واخذ تجار قريش يولون الروابط المادية التي تربط بينهم اهمية كبرى. وعرفت قريش بالحلم، وكانوا على ما يظهر يعيرون الاعتبارات العملية عناية اكبر مما يعيرون دوافع العاطفة.

وبالرغم من ان مكة كانت تستند في اوضاعها الاجتماعية والسياسية الى التقاليد القبلية، فإن نظام المشيخة، الشائع في الاقسام الصحراوية من بلاد العرب، اخذ يضعف فيها. وكان الملاء، او مجلس اعيان مكة، يتمتع بنفوذ كبير. والملاء في مكة يختلف عن مجالس القبائل بوضعه واتجاهاته.

وكانت العصبية معروفة في مكة، ولكنها تتركز حول الافخاذ بحيث اصبحت عصبية الافخاذ ابرز من العصبية العامة. وضعف الروح العسكري في مكة فأخذ اهلها يستخدمون الاحابيش والاعراب لحماية قوافلهم. ومن الملاحظ ان النزاع الذي مزق يثرب، كما نرى لم يكن معروفاً في مكة.

يثرب:

تقع مدينة يثرب في سهل بركاني خصب لذا كانت الزراعة اهم موارد المدينة المذكورة. وترتب على ما سبق ان اصبحت تجارة المواد الغذائية من اهم الاعمال الاقتصادية لسكان يثرب. وكانت الاغلبية العظمى من سكان يثرب تتكون من قبائل الاوس والخزرج. اما بقية السكان فكانت من اليهود، ومن اشهر قبائلهم بنو النضير وقريظة وبنو قينقاع. وكان العرب واليهود يسهمون في الحياة السياسية ليثرب. وكانت الاوس والخزرج اهل عزة ومنعة في بلادهم حتى كانت بينهم الحروب التي أفنتهم في ايام لهم مشهورة. ومن اشهر ايامهم او حروبهم يوم حضير الكتائب ويوم اطم بني سالم ويوم بعاث. وقد ضعف الاوس والخزرج نتيجة للحروب المذكورة واجترأت عليهم بنو النضير وقريظة وغيرهم من اليهود[1].

واخذت النظم البدوية تضعف في يثرب خلال الفترة التي سبقت ظهور الاسلام. ونتيجة لذلك تحولت يثرب الى منطقة زراعية مستقرة. وكان كثير من الاراضي بيد اليهود، الامر الذي مكنهم من الوقوف بوجه الاكثرية العربية من اهل يثرب. يضاف الى ذلك ان جماعات من الافخاذ العربية الصغيرة التي تملك قطعاً من الارض داخل الاملاك اليهودية الكبيرة اصبحت بحكم مصالحها الاقتصادية تابعة وحليفة لليهود. وكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج، والنضير وقريظة حلفاء الاوس وكان فخذ سليمة اشد

---

(١) اليعقوبي، التاريخ ج٢ (النجف، ١٣٥٨هـ) ص٢٧.

مقاومة لليهود من غيره من الافخاذ العربية، ويعزى ذلك الى الرغبة في التخلص من نفوذ اليهود الاقتصادي من جهة والى تحالف قريظة وبني النضير مع الاعداء سليمه من العرب من جهة اخرى. ويمكن ان يفسر موقف سليمه المؤيد للإسلام فيما بعد على ضوء رغبتهم في الاستعانة بقوته ومبادئه على التخلص من سيطرة اليهود. وقد حاول عمرو بن النعمان، احد زعماء الخزرج في يثرب، اقصاء بني النضير وقريظة من يثرب ولكنه فشل لقساوته ولاندحاره في معركة بعاث المشهورة. وقد برز عبد الله بن ابي في يثرب قبيل ظهور الاسلام، ونال تأييد عدد كبير من العرب واليهود من سكانها بحيث اصبح مرشحاً لأن يكون ملكاً على يثرب لولا ظهور الإسلام فيها.

وقد امتنع عبدالله بن ابي عن اعتناق اليهودية، وربما يفسر امتناعه هذا بخوفه من ان ينال رجال الدين اليهود قوة سياسية.

الوثنية العربية:

لقد عبد العرب في الجاهلية آلهة متعددة. وظهر من الكتابات التي عثر عليها في بلاد العرب الجنوبية ان عبادة القمر الاله الذكر، قد رجحت على عبادة الشمس الاله الانثى. وكانت الآلهة عشتار وسين ونكروح تذكر بالآلهة البابلية عشتار وسين ومكرو.

وعبد العرب الاصنام ونصبوها حول مكة. ويرى الكلبي ان اهل مكة اقتبسوا عبادة الاصنام من الشام[1]. ومن اشهر اصنامهم سواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، ورئام. وقد ورد ذكر كثير من اصنامهم في القرآن الكريم: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا

(١) الكلبي، هشام بن محمد، الاصنام، القاهرة، ١٩١٤، ص٨.

وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾[1].

ومن اصنامهم مناة واللات والعزّى وهبل. وكان العرب يعظمون اصنامهم ويذبحون لها ويهدون لها[2]. وقد ورد ذكرها في القرآن[3] ايضاً. واعتاد عرب الجنوب ان يكرموا آلهتهم بإحراق العطور على مذبح الآلهة.

ويضاف الى عبادة الاوثان عبادة الاموات، والاجداد منهم بشكل خاص. وكان البدو يعتقدون بخلود النفس. ويبدو ان العاطفة الدينية كانت اكثر حياة عند عرب الجنوب منها عند عرب الشمال. ومع ذلك فأن هؤلاء كانوا يقولون ان الموت لا يحدث انفصالاً مباشراً بين الجسم والروح فقد كانوا يتخيلون الميت يغفو بهدوء في مقره المظلم ويتمتع بعض الوقت بوعي نصفي. والنساء بغنائهن وهتافهن الحاد يردن ايقاف الروح التي تتعجل التخلص من الجثة. اما الرجال فكانوا يعدون الميت بأخذ الثأر.

ويعدّ البدو الوثنيون الثأر واجباً دينياً. ويحتل الثأر مكاناً هاماً في مجموعة المفاهيم المتواضعة (دين العرب) التي غذت حياة البدو الاخلاقية والدينية الفقيرة قبل الاسلام.

وكان جماعة من عرب الشمال يعبدون الانصاب والحجارة المرفوعة. وكانت هذه الانصاب تكرم في طواف دوري. وكانوا يطوفون حول الانصاب ويلمسونها اكتساباً لشيء من القدرة التي تحتويها، وهذه الانصاب تكون في الغالب مزدوجة (اساف ونائلة واللات والعزى). وقد حرم الاسلام الذي اكد على الوحدانية فيما حرم من طقوس وثنية عبادة تلك الانصاب. وتكون الانصاب ثابتة او منقولة: ففي الحالة الاخيرة تتبع تحركات القبيلة وتلعب في المعارك دور الحامي. وحول هذا الحامي كهنة وعلى الخصوص

---

(١) نوح: ٢١-٢٤.

(٢) الكلبي، المصدر السابق، ص١٣.

(٣) السور: ٧١، ٢٢-٢٣، ٥٣، ١٩-٢٠.

ساحرات يقرعن الطبول ويهتفن بعبارات مقفاة ذات ايقاع ووقع متنافر سريع ويتبعها عزائم سحرية. وقد قاوم الاسلام بشدة هؤلاء الكهنة وقارعات الطبول وعدّ ذلك من عمل الشيطان.

وكان جماعة من العرب على دين ابراهيم الحنيف، ويعظمون البيت الحرام فيطوفون حوله ويقفون على عرفة.

وقد نظر محمدﷺ الى دين ابراهيم على انه هو الدين الاساسي والفطري في الوقت نفسه، وما الاديان الاخرى سوى دلالات عليه، وانه هو اساس التوحيد.

الحالة الثقافية في الحجاز قبيل الاسلام

قد يكون من الضروري ان نشير هنا الى ان المصادر المتوافرة لدينا عن العهد الجاهلي قليلة جداً، ولهذا لا يستطيع الباحث ان يطمئن الى كل ما يتوصل اليه من نتائج في هذا الموضوع. وقد جابه هذه المشكلة كثير ممن بحثوا في حياة عرب الجاهلية[١]. ونعتقد ان ندرة مصادر العهد الجاهلي ناتجة عن الاسباب التالية:

أولاً– ان الكتابة في ذلك العهد كانت قليلة الانتشار، وكان من نتيجة ذلك ان انعدمت المدونات التي تعود لهذا العصر ما عدا مجموعة من النقوش المبعثرة عثر عليها في بعض نواحي الجزيرة كاليمن وبلاد الانباط وتدمر وغيرها. ويظهر انه لم تجر تنقيبات حديثة في الحجاز، وبالتالي لم يسعفنا هذا المصدر بشيء ذي اهمية عن الحياة الثقافية في هذه البلاد.

ثانياً– ان كثيراً مما سجل عن التراث الثقافي لعرب الجاهلية، رغم تأخره في الزمن حيث

---

(١) انظر في هذا الصدد: Lewis، B0،the Arabs in History، New York،1950؛ العلي، صالح احمد، محاضرات في تاريخ العرب، بغداد، ١٩٥٢؛ الهاشمي علي، المرأة في الشعر الجاهلي، بغداد، ١٩٦٠.

انه يعود للقرنين الثاني والثالث للهجرة، وقد تعرض، كما تعرض التراث الثقافي الاسلامي عامة، للتلف والضياع على ايدي التتر في الشرق والاسبان والنورمانديين في الغرب. وقد يقدر القارئ مبلغ الضرر الذي اصاب التراث الثقافي من جراء ضياع المخطوطات اذا علم ان ذلك حصل في عهد لم تكن فيه الطباعة معروفة، ومن ثم فأن ما أتلف من مخطوطات نادرة لا يمكن تعويضه بأية وسيلة كانت.

ثالثاً- ان معظم الكتاب المسلمين وجهوا جل اهتمامهم لتدوين الحضارة الاسلامية، ولم يولوا تراث العرب الثقافي في الجاهلية ما يستحق من الاهتمام، ويضاف الى ذلك ان هؤلاء المتعصبين على الجاهلية تنكروا لـ(ديانات الجاهلية، وعملوا على محوا آثارها وتعاليمها... والاشعار التي قيلت فيها، وكل شيء يمت اليها بسبب، فإذا اردنا ان نعرف شيئاً من ذلك عز علينا، ولم نظفر منه بطائل)[1]. والواقع ان معظم ما سجله لنا المؤرخون المسلمون عن الجاهلية ما هو الا اشارات مقتضبة لا تمكن الباحث الحديث من رسم صورة واضحة لما بلغه المجتمع العربي، وخاصة في الحجاز، من تقدم في مضمار الثقافة.

وبالرغم مما سبق نرجو ان يكون فيما نورده هنا من آراء، وما نسجله من معلومات، ما يساعد على ازالة بعض ما يكتنف هذه المشكلة من غموض وما يحيط بها من ملابسات.

كانت الحجاز في العهد الجاهلي متصلة بمراكز الحضارة العالمية، كالشام واليمن والحيرة. ويظهر ان الحيرة كانت من المراكز الحضارية الهامة في هذه الفترة وان اهلها بلغوا درجة كبيرة من الرقي والرفاه.

اما من الناحية الثقافية فقد قطعت الحيرة شاؤا بعيداً في هذا المضمار، اذ كان اهلها يدونون اخبار ملوكهم «في كنائسهم واسفارهم»[2]. ويظهر ان الثقافة غير منحصرة

(١) الهاشمي، المصدر نفسه، ص٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ١، القاهرة،١٩٣٩، ص٤٥٠-٤٥١.

في رجال الدين حيث كان اهل الحيرة يرسلون ابناءهم الى الكتاب يعلمونهم القراءة والكتابة العربية، كما كان بعضهم يختلفون الى الكتاتيب الفارسية[1]. وعندما شعر المنذر برغبة ولي العهد بهرام في اكتساب العلم ارسل «من اتاه برهط من فقهاء الفرس ومعلمي الرمي والفروسية ومعلمي الكتابة... وجمع له حكماء من حكماء فارس ومحدثين من العرب...»[2] ومن هذا يظهر ان الحيرة كانت على درجة لا يستهان بها من الرقي المادي والفكري. وبعد هذا نقول ماذا نقل اهل الحجاز من الحيرة؟ يظهر ان الخط العربي، كما تشير المصادر العربية المتوافرة لدينا، من اهم ما نقل من الانبار والحيرة الى مكة. فذكر ابن النديم ان نفرا من اهل الانبار من اياد القديمة وضعوا حروف الالفباء العربي، وان هذه الكتابة انتقلت من الانبار الى الحيرة. وقد ورد ذكر اياد هؤلاء بأبيات من الشعر يستدل منها على اهتمامهم في الكتابة:

قومي اياد لو انهم امم — او لو اقاموا فتهزل النعم
قوم لهم ساحة العراق — اذا ساروا جميعاً والقط والقلم[3]

ويوضح البلاذري كيفية نشوء الهجاء العربي في الحيرة بقوله: اجتمع نفر من طي فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلمه قوم من الانبار ثم نقل الى الحيرة ومنها نقله بشر بن عبد الملك النصراني وعلمه لأهل مكة[4]. ويؤيد ابن النديم انتقال الكتابة من الحيرة الى قريش[5].

ورغم تأكيد المصادر العربية على نشوء الخط العربي في الانبار ثم الحيرة فأن الكشوف

---

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج ٢، القاهرة ١٣٢٣، ص١٩.

(٢) الطبري، ١: ٥٠٢.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج ١، القاهرة، ١٩٣٧، ص٤٨.

(٤) فتوح البلدان، الطبعة الاوربية، ص٤٧٦-٧.

(٥) الفهرست، القاهرة، ١٩٢٩، ص٧.

الحديثة تشير الى ان الخط العربي مشتق من الخط النبطي، وان النقوش التي عثر عليها في منطقة النمارة بشرق الاردن تؤيد ذلك. ولا يهمنا هنا المصدر الذي تعلم منه اهل الحجاز الخط العربي، بل الذي يهمنا بالدرجة الاولى وجود الخط وانتشاره في الحجاز وخاصة في حواضره المهمة مثل مكة والمدينة ووادي القرى.

ويبدو ان انتشار الكتابة في مكة قبيل ظهور الاسلام كان اوسع بكثير مما تصوره لنا المصادر العربية، فالبلاذري يقول ان الاسلام دخل «وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتبون...»[1] ويجعل القلقشندي عدد الذين يكتبون «بضعة عشر»[2]. ويظهر ان هذه الروايات غير دقيقة للأسباب الآتية:

اولاً– ان مكة مدينة تجارية ووجود عدد كبير ممن يستطيعون القراءة والكتابة امر ضروري لكل مجتمع تجاري. ولا نرى ضرورة للتدليل على اهتمام اهل مكة بالتجارة لان المكيين احتفظوا بتقاليدهم التجارية حتى بعد نزوحهم الى المدينة عندما هاجروا اليها بعد ظهور الاسلام، حيث «كان يشغلهم الصفق بالأسواق عن سماع الحديث»[3].

ثانياً– ان وجود اشارات في القرآن الكريم لمواد الكتابة كالقلم والقط وكاتب، وضرورة كتابة عقد الدين، يدل على ان المجتمع المكي كان يعرف هذه المصطلحات ويألفها.

ثالثاً– كانت قريش تعتبر من يعرف الكتابة والقراءة من الكملة[4] فليس من المحتمل ان يكون الكملة في المجتمع القرشي سبعة عشر نفراً فقط عند ظهور الاسلام.

رابعاً– لقد وجد بين قريش من يعرف غير الخط العربي حيث كان ورقة بن نوفل، وكان

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ص٤٧٦-٧.

(٢) صبح الاعشى، ج٣، القاهرة، ١٩١٧، ص١٥.

(٣) العسقلاني، ابن حجر، شرح البخاري، ج١، القاهرة، ١٣٢٥، ص١٥٣

(٤) البلاذري، نفس المصدر، ص٤٧٤.

ذا علم من اهل النصرانية[١] «يكتب الكتاب العبراني، فيكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء ان يكتب...»[٢].

ويظهر ان الانشاء العربي ومفردات اللغة قد بلغت درجة كبيرة من الرقي في هذا الدور اذ ان ورقة بن نوفل نفسه قد استطاع ان يترجم التوراة الى العربية في العهد الجاهلي[٣].

خامساً- ان وجود عدد من المتعلمات بين المكيين يدل على ان معرفة الكتابة لم تقتصر على بعض رجال قريش بل كان بين النساء من يتقنها.

ووجد من بين النساء من يقرأن الكتب مثل فاطمة بنت مر التي كانت «امرأة متهودة قد قرأت الكتب»[٤]. وكانت الشفاء كاتبة في الجاهلية وكذلك كانت حفصة بنت عمر، وان ام كلثوم بنت عقبة كانت تكتب.

اما عائشة وام سلمة فكانتا تقرآن ولا تكتبان[٥]. ولما دخل عمر بن الخطاب على بيت اخته وجدها وزوجها يقرآن سورة طه. وكان عمر يقرأ الكتب فقال اعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه[٦].

سادساً- لقد وردت اشارة في البلاذري يستدل منها على وجود مؤسسات للتعليم الاولى في الحجاز. فيروي ان رجلاً اتى وادي القرى «فأقام بها وعلم الخط قوماً

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص٣٣.

(٢) الاصفهاني، المصدر السابق، ج٣، ص١١٤.

(٣) انظر: Hamidullah، M0، "The Educational System in the time of the prophet،" Islamic Culture، Vol0 13، No0 10 Janury0 1939، P0 500.

(٤) الطبري، ج٢،ص٦.

(٥) البلاذري، المصدر السابق، ص٤٧٧.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج٣، الطبعة الاوربية، ١٣٢٢، ص١٩٢٠.

من أهلها»[1]. ويعتقد الاستاذ حميد الله ان نوعاً من الكتاتيب للتعليم المختلط كانت موجودة في جوار مكة. وان امرأة من قبيلة هذيل كانت تفتخر بأنها كانت شغوفة بغمس الاقلام في المحابر واخراجها منها عندما كانت تحضر امثال هذه الكتاتيب[2].

ومن هذا يظهر ان مؤسسات للتعليم، على قلتها وبساطتها، كانت موجودة في الحجاز حول مكة. اما وجودها في المدينة فهو امر اكيد لوجود اليهود في يثرب وهم ذو تقاليد ثقافية لانهم كموحدين لا بد ان يوجد بينهم من يعلم الكتاب المقدس وشروحه، يضاف الى ذلك ان اشارات قد وردت عن وجود بيت المدراس وهو المحل الذي يُعلم فيه الكتاب المقدس وشروحه[3]. ونعتقد ان الكتابة كانت منتشرة في الحجاز بين عدد كبير من السكان، وكان اهل مكة «يؤرخون في كتبهم وديونهم من سنة الفيل...»[4]، وان الشخص الذي اشار اليه البلاذري في النص السابق واعتبره اول من اتخذ تعليم الخط مهنة له في جزيرة العرب لا يمكن ان يكون الاول ولا الوحيد لان الخط صناعة حضرية كما قال ابن خلدون فلا بد من وجود وتعدد امكنة تعليمه بين اهل الحجاز لان معظم سكانه، وخاصة اهل مكة ويثرب، من الحضر[5].

ويبدو انه رغم وجود اليهود في يثرب، فأن الكتابة في مكة كانت لان اهل مكة، كما يقول ابن سعد، يكتبون واهل المدينة لا يكتبون[6]. ونعتقد ان سبب ذلك يعود بالدرجة الاولى الى ان مكة كانت بواد غير ذي زرع وان امتهان اهلها التجارة جعلهم يمتهنون بتعليم الخط لانه من مستلزمات مهنتهم.

---

(١) فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٠١، ص٤٧٧.

(٢) انظر: Hamidullal، Op0 Cit، XIII،P0500

(٣) انظر: Hamidullal، Op0 Cit،P0500

(٤) الازرقي، تاريخ مكة، القاهرة، ١٣٥٢، ص٩٦.

(٥) المقدمة، القاهرة، ١٩٣٠، ص٣٩٤.

(٦) الطبقات، ج٢، ص١٤.

واما اهل يثرب فكانوا يمتهنون الزراعة في الغالب لخصوبة ارضهم ووفرة المياه اللازمة لإروائها لذا كان اهتمامهم في تعليم الخط اقل من اهتمام اهل مكة رغم وجود اليهود بينهم. ويظهر ان تأثير اليهود الثقافي كان محدودا ومنحصراً في الدوائر اليهودية ولم يعم جميع سكان يثرب والمناطق المجاورة لها.

ولم تقتصر ثقافة اهل الحجاز قبيل الاسلام على تعلم الخط بل وجد بينهم من عرف بـ«الحكم والعلم»كهرم بن قطبة، وحمزة بن ضمرة الذي كان خطيباً وشاعراً وسلمه بن الخرشب، الذي قال سهل بن هارون عندما سمع كلامه من الجاحظ: «والله لكأنه قد سمع رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري في سياسة القضاء وتدبير الحكم...»[١]. واعتقد ان التدقيق يقتضي بأن نقول ان عمر بن الخطاب ربما تأثر في آراء سلمة بن الخرشب لان عصره سابق لعصر عمر.

والى ما سبق ذكره فقد ظهر في قريش جماعة «كانوا رواة الناس للأشعار وعلماءهم بالأنساب والاخبار». ومن هؤلاء مخرمة بن نوفل، وابو الجهم بن حذيفة، وحويطب بن عبد العزى، وعقيل بن ابي طالب[٢].

ويظهر ان جماعة ممن عرفوا بالعلم والثقافة كانت موجودة بمكة قبيل ظهور الاسلام فيروي اليعقوبي ان ابا طالب عندما اخبره اصحاب الكتب بدنو نبوة محمدﷺ شاور «من كان بمكة من اهل العلم»[٣] حول هذا الموضوع.

وكان للعرب في الجاهلية مواضع يجتمعون بها تسمى الاسواق، وكانت اسواق العرب عشرة اسواق «يجتمعون بها في تجاراتهم ويأمنون فيها على دمائهم واموالهم»[٤].

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١،القاهرة، ١٩٢٨، ص٣٣٧-٣٨.

(٢) الجاحظ، المصدر السابق، ٢: ٣٢٣-٢٤.

(٣) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، النجف، ١٣٥٨، ص١١.

(٤) اليعقوبي، التاريخ، ج١، ص٢٢٦.

ولعل اهم هذه الاسواق هو سوق عكاظ الواقعة بأعلى نجد وتحضرها قريش وسائر العرب «وبها كانت مفاخرة العرب وحمالاتهم ومهادناتهم»[1].

ومن هذا يظهر ان سوق عكاظ كان بمثابة مؤتمر ادبي للعرب ينشدون فيه اشعارهم ويتبارى فيه خطباؤهم ويعالجون المواضيع التي تتناول مشكلات عصرهم. ويعتقد الاستاذ حميد الله ان سوق عكاظ كان ذا اهمية كبيرة في تنظيم لغة العرب وتوحيدها[2]. وقد يكون لهذه المؤتمرات الادبية اثرها في توحيد اللهجات العربية وايجاد لغة ادبية تستعملها اكثرية العرب، وربما كانت هذه اللهجة هي لهجة قريش التي كتب لها ان تنتصر وتعم بعد ان نزل فيها القرآن الكريم.

ولم تكن هذه الاسواق هي الوحيدة التي تقوم مقام المؤتمرات الادبية بل ان بعض الاشخاص كانوا يعقدون امثال هذه المؤتمرات والاجتماعات في مدنهم او بيوتهم الخاصة. ويروى ان غيلان بن سلمة الثقفي كان يعقد اجتماعاً اسبوعياً تلقى فيه القصائد وتجرى فيه المناقشات الادبية[3].

اما الشعر العربي في هذه الفترة التي هي مدار بحثنا، فقد بلغ درجة كبيرة من النضج، ويمكن ان يتخذ دليلاً واضحاً على رقي ثقافة المجتمع الذي انتجه. وفن الشعر، كما يقول ابن خلدون «من بين الكلام كان شريفاً عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم واخبارهم وشاهد صوابهم وخطائهم واصلا يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم...»[4].

ولا نرى ضرورة للتفصيل في مقام الشعر كأثر ثقافي من آثار العرب فهو اشهر واخطر

---

(١) اليعقوبي، المصدر السابق، ١: ٢٢٧.

(٢) انظر: Islamic Culture، 1939، XIII، P0 500.

(٣) انظر: Islamic Culture، Jan0، 1939، XIII، P0 300

(٤) المقدمة، القاهرة، ص٥٧٠.

من ان نعالجه في هذه العجالة ويستطيع القارئ ان يتتبع هذا التراث الثقافي في المؤلفات التي خصصت لهذا الغرض[١].

ولكننا نود ان نشير هنا الى ان الشعر الجاهلي كان بمثابة سجل عام حفظ لنا كثيراً من تراث العرب في هذا الدور، وقد يقدر القارئ قيمة الشعر كمصدر من مصادر تدوين التاريخ عند العرب اذا علم اننا نفتقر الى المدونات التي تعود لهذا الدور ولا يعني هذا ان الشاعر كان ينشد شعره ليسجل التاريخ، كلا انه ليس بمؤرخ، وكان هدفه الاول نظم القصيدة وانشادها حتى تنتشر في انحاء الجزيرة، وعلى هذا فإن القصائد لم تكن تواريخ تبحث عن الحوادث بتفصيل تام، بحيث تكون هذه الحوادث مسجلة تسجيلاً متقنا ومحلله تحليلاً كافياً مع ربط علل الحوادث واسبابها.

ولم يقتصر تراث عرب الجاهلية الثقافي على ما ذكرنا بل ان ما خلفوه من قواعد وعادات وتقاليد، خاصة ما يتعلق بنظرتهم الديمقراطية الى الحكم، كان لها اثر كبير في نظام الحكم والتشريع الاسلامي الذي استوعب كثيرا من عرف وتقاليد الجاهلية بعد ان حورها ونظمها حسب قواعد الدين الجديد.

وبعد، فهذه آراء وملاحظات عن تراث عرب الحجاز الثقافي قبيل الاسلام عرضناها هنا لكي يشاركنا القارئ في التفكير بما نعالجه من مشكلات ولست بموضع من يقول انها كانت شاملة لجميع نواحي الموضوع او انها نهائية لان مصادرنا عن الموضوع، كما اسلفت، ناقصة وستبقى الكتابة فيه ناقصة حتى يتم العثور على جميع المصادر.

ونختتم هذا الفصل بآراء وتعليقات تكميلية:

---

(١) الهاشمي، علي، المرأة في الشعر الجاهلي، بغداد، ١٩٦٠؛ ويموت، بشير، شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام، بيروت، ١٩٣٤؛ والحوفي احمد، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، ج١، القاهرة، ١٩٤٩ وغيرها.

اولاً- التأثيرات الخارجية في بلاد العرب

لقد تأثرت بلاد العرب بصورة محددة بحضارة الاقطار المجاورة في حقلي الدين والتجارة بالدرجة الاولى. وحصل التأثر المذكور بدرجات متفاوتة تبعاً للعوامل الجغرافية والبشرية وغيرها من العوامل المساعدة على الاتصال الحضاري.

وظهرت التأثيرات الخارجية بوضوح في اليمن والسواحل الجنوبية لبلاد العرب، وكانت اقل وضوحاً في سواحل البلاد العربية الغربية والحجاز، وتكاد تكون ضئيلة او معدومة في الاقسام الوسطى حيث تشيع البداوة.

وقد بحث اوليري (O'lear) عوامل الاتصال وطرقه في كتابه الموسوم بـ«بلاد العرب قبل محمد» **Arabia Before Muhammad**.

ويقول هنري ماسيه بصدد التأثيرات الخارجية ما يأتي: «اذا كانت الوثنية في بدء القرن السابع قد تأخرت في البداية فأن تهامة، منطقة اهل الحضر، تعرضت من جميع النواحي لتأثيرات من الخارج، وفي الشمال فأن اللخميين والغسانيين قد استخدموا وسطاء ولكن الجماعات المسيحية واليهودية منذ زمن طويل قد سكنت اليمن والحجاز بوجه خاص.

والجماعة المسيحية الرئيسية هي جماعة نجران. اما اليهود، وهم تجار وزراع على الخصوص، فقد بلغوا الازدهار في خيبر وفي يثرب ولكن هؤلاء واولئك تدافعوا الى مكة». ثم يستطرد ماسيه بالكلام عن اهمية مكة التجارية وعن الاسواق التي تعقد بجوارها وعن اهمية الحجاز يقول: «ويجب الا نخاف من الترديد ان بشارة محمدﷺ ستوجه الى اناس كانوا قد اقلعوا منذ زمن طويل عن عزلتهم الوحشية ليخضعوا لتأثيرات حربية وسياسية وتجارية ودينية. وهذه الاخيرة يجب ان نقف عندها قليلا لنحاول ان نفهم بصورة افضل تكوين الاسلام...»[1].

---

(١) ماسية، هنري، الاسلام – ترجمة بهيج شعبان (بيروت، ١٦٩٠)، ص٣٥-٣٨٠.

ثانياً- المجتمع المكي واهميته

لقد ازدهرت منطقة مكة وتقدمت حضارياً ومالياً لأسباب اشرنا اليها اثناء البحث اولا، ولأنها استطاعت ان تنظم علاقاتها التجارية مع القرى السياسية المتناحرة من بيزنطية وفارسية من دون ان تنحاز الى جهة ثانيا. وقد استطاعت قريش سكان مكة ان يؤسسوا مجتمعاً متحضراً يشتغل بالتجارة. وكان اهل مكة وسطاء تجاريين يتاجرون بالمواد الكمالية ذات الارباح الكبيرة امثال التوابل والبخور والزبيب والادم[1]. واصبحت حضارة المكيين متأثرة بحركة التجارة، ومعنى ذلك انهم كانوا على صلة بالشعوب المجاورة وابتعدوا عن البداوة نسبياً.

ويساعدنا فهم طبيعة المجتمع المكي على تفهم كثير من مشكلات الدولة الاسلامية التي اسهم المكيون، في الفترة موضوع. البحث ببنائها. يقول هنري ماسيه «فما من شك في ان مكة كانت مركزاً لنقابة من الماليين والتجار، كلهم ماهرون في الحسابات بصفتهم قريشيين (لا منس). وما من شك في ان التجارة في مكة قد تحولت الى مدرسة تمهيدية للسياسة (فلها وزن). ومحمدﷺ نفسه سيبتدئ بالتجارة «حيث اصطلاحاتها تركت اثرها في القرآن»[2]. وكانت قريش سكان مكة يشعرون بنوع من الزعامة على سائر العرب فكانوا يقولون «نحن بنو ابراهيم، واهل الحرمة وولاة البيت، وقطان مكة وسكانها، فليس لاحد من العرب مثل حقنا، ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا...»[3].

وقد يكون لشعور قريش بالزعامة، ولحنكتها السياسية وخبرتها بشؤون المال، اثر في تمكينها من الحصول على المناصب الكبرى في الدولة الاسلامية عند نشوئها بنسبة لا

(١) ابن هشام، السيرة، ج ٢ (القاهرة، ١٩٣٦) ص٢٥٣.

(٢) الاسلام، ص٣٨.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٢١١-٢١٢.

تتفق والخدمات التي قدمتها قريش للإسلام من جهة، ولا تتناسب مع عدد افرادها من جهة اخرى.

ثالثاً- اليهود والنصارى

عاشت اقليات يهودية ومسيحية في بعض اجزاء من بلاد العرب كاليمن والحجاز. وقد وردت معلومات مقتضبة في المصادر العربية عن الاقليات المذكورة. ويبدو ان الاقليات المذكورة باستثناء يهود يثرب، لم تكن متفوقة اقتصادياً على جيرانها من العرب. اما من الناحية الثقافية فيبدو ان الاقليات المذكورة بحكم صلاتها الدينية والاجتماعية بالاقطار المجاورة كانت ارقى ثقافة من جيرانها العرب الوثنيين. وقد اورد اوليري في كتابه «بلاد العرب قبل محمد» تفصيلات عن الجماعات اليهودية والمسيحية في بلاد العرب قبيل ظهور الاسلام جديرة بالاطلاع عليها. اما هنري ماسيه فيقول بصدد كلامه عن اليهود والنصارى في بلاد العرب في الفترة موضوع البحث: «يبدو ان التماسك الاجتماعي كان اكثر قوة عند اليهود منه عند المسيحيين، فهؤلاء يرتبطون بكنائس مختلفة النزعات اضعفتها المنافسة بانتظار ان تسهم في تسهيل الفتح الاسلامي... يضاف الى ذلك ان المسيحيين - في مكة كانوا من صغار الناس - مغامرون، ومقايضون، وبائعو خمور، وعمال... وبالاختصار فقد كان المسيحيون منعزلين غير قادرين على تشكيل وحدة حقيقية.

اما اليهود فعلى العكس، فهم يوحون بأنهم قوة منتظمة، ذات تجمع مرتب يختلف تمام الاختلاف عن التفرق المسيحي... وفي مكة كانوا هم ايضا يسكنون الضواحي، اما في منطقة يثرب (المدينة) فكانوا يملكون الارض ورؤوس الاموال. وحين ترك محمدﷺ مكة الى المدينة فأن سأم عرب هذه المدينة من البلوتوقراطية اليهودية لن يكون غريبا عن الاستقبال الذي سيتلقاه...»[1].

(١) ماسية، الاسلام، ص٣٨-٣٩.

الفصل الثاني:

ظهور الرسول الاعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

مصادر سيرة الرسول:

أ. القرآن الكريم. يعدّ القرآن الكريم المصدر الاول والرئيس لعقائد المسلمين، وقواعد عباداتهم، ومنه استمدوا الاغلبية العظمى من قوانينهم، ويعدّ فضلاً عن ذلك، اهم مصدر لحياة الرسول الاعظم محمدﷺ.

فالآيات الكريمة التالية تظهر ان محمداًﷺ امضى شبابه مثقلاً بأعباء الحياة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۞ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۞ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾[1].

وتظهر الآية الآتية ان الله اوحى الى النبي محمدﷺ كما اوحى للأنبياءعليهم السلام الذين جاءوا من قبله: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2].

ويظهر من الآية التالية ان الاسلام يقرر بأن الله هو مصدر السلطة: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ...﴾[3].

ووردت اشارات في القرآن الكريم الى النزاع الذي حصل بين النبيﷺ وبين كفار قريش، الذين اتهموا محمداًﷺ بأنه لم يكن زعيماً من زعمائهم البارزين في الجاهلية:

---

(١) الضحى: الآيات –٧،٦،٥.

(٢) الشورى: ٢.

(٣) الشورى: ٩.

«وقالوا لولا نُزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم». وجاء في القرآن ان الكافرين اتهموا النبيﷺ بأنه ساحر[1]، وانه مجنون[2].

ومن الملاحظ ان الآيات السابقة جميعها كانت مكية فهي تناسب الدور الذي نزلت فيه، فأشارت الى حياة محمد في شبابه، كما بينت طرفاً من نزاعه مع قريش.

اما الآيات المدنية فكانت تعني بالدرجة الاولى بالأحكام والقواعد التي من شأنها تنظيم علاقات الافراد والجماعات فيما بينها. فالآية الآتية تشير الى ضرورة احترام اموال اليتامى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ...﴾[3] وتشير الآية الآتية الى تحديد عدد الزوجات في الاسلام: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ...﴾[4].

واشارت الآية الآتية الى احترام اموال الآخرين وتحريم اكلها بالباطل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ ...﴾[5]. واشارت الآية الآتية الى ضرورة احترام الامانات والحكم بالعدل بين الناس: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ...﴾[6].

ويبدو مما سبق ان الدارس لحياة النبيﷺ يجد معلومات كثيرة عن ذلك الموضوع في القرآن الكريم.

---

(١) الشورى- الآيات ٣٠، ٤٨.

(٢) الدخان: ١٣.

(٣) النساء: ٢.

(٤) النساء: ٢.

(٥) النساء: ٢٨.

(٦) النساء: ٥٧.

ب. السير. تعدّ سيرة الرسول (سيرة ابن اسحاق) التي الفت في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة من اقدم ما وصل إلينا عن حياة الرسولﷺ. ومع هذا فقد كانت هناك سير اقدم تاريخياً من سيرة ابن اسحاق، ولكنها لم تصل إلينا. ذكر ابن هشام «ان اول من كتبوا في سيرة النبيﷺ عروة بن الزبير، وابان بن عثمان وشرحبيل بن سعد ووهب ابن منبه»[1]. ويظهر من نص اورده السخاوي ان سيراً عديدة كتبت للرسولﷺ ولكنها لم تصل الينا اذ يقول: «فأما السيرة النبوية والمغازي فقد انتدب لجمعها مع سائر ايامه... موسى بن عقبة الاسدي المدني احد التابعين، ومحمد بن اسحاق المطلبي... وابو عبد الله محمد بن عمر الاسلمي... وابو بكر عبد الله بن همام الحميري... وابو احمد محمد ابن عابد القرشي، وابو عثمان سعيد بن يحيى الاموي البغدادي، وابو القاسم التميمي الاصبهاني... واخذ الامام ابو محمد عبد الملك بن هشام كتاب ابن اسحاق بعد ان سمعه من زياد البكائي عنه فهذبه ونقحه بحيث صار المعول عليه»[2].

اما سيرة ابن هشام فهي اقدم النصوص التي وصلت الينا عن حياة الرسولﷺ ويحدثنا ابن هشام عن الطريقة التي اتبعها والامور التي اكد عليها فيقول: «انا ان شاء الله» مبتدئ هذا الكتاب بذكر اسماعيل... وتارك ما ذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب طالما ليس لرسول اللهﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار، واشعاراً ذكرها لم ار احداً من اهل العلم بالشعر يعرفها، واشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته...»[3].

ويبدو من النص السابق ان ابن هشام تجاوز حدود النشر وحذف من سيرة ابن

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٥.

(٢) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (القاهرة، ١٣٤٩) ص٨٨.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٢-٣.

اسحاق اقساماً من المحتمل ان تكون ذات قيمة تاريخية بالغة الاهمية. وكانت بعض حجج ابن هشام غير وجيهة منها انه حذف من سيرة ابن اسحاق «ما يسوء بعض الناس ذكره» على حد قوله وما يدرينا ان ما حذفه هو جزء مهم من السيرة له اهمية في سير التاريخ الاسلامي العام.

وبالرغم مما سبق فأن سيرة ابن اسحاق تعدّ اهم ما في ايدينا عن حياة الرسولﷺ. وتحدث ابن اسحاق عن قريش ولكنه اكد على كل ما يتعلق بالنبيﷺ. وقد تحدث المؤلف عما قيل ضد الرسولﷺ وعن قتلى قريش بالروح التي كتب فيها عن الرسول ﷺ والمسلمين، وحفظ بهذه الطريقة مادة تاريخية من طراز عال، يستطيع المؤرخون المحدثون ان يفهموا عن طريقها حياة محمدﷺ فهماً جيداً.

وقد وجهت تهم لابن اسحاق منها انه ينتحل الاشعار، وانه يخطئ في النسب، وانه يعتمد على اخبار اهل الكتاب ويسميهم اهل العلم الاول، وانه يتعصب للشيعة. ويبدو لدارس السيرة ان بعض التهم المذكورة وخاصة الاخيرة لا نصيب لها من الصحة.

ورغم هذه الهنات البسيطة ان صحت فأن سيرة ابن اسحاق، التي نشرها واضاف اليها ابن هشام، تعدّ اهم مصادرنا لحياة الرسولﷺ. لقد ولد ابن اسحاق وتربى في المدينة واهتم بجمع الحديث وخاصة ما يتعلق منه بحياة الرسول. وقد جاء الى بغداد حيث الف سيرته. وربما كان لوجوده في محيط عباسي اثر في موقفه غير الودي تجاه بني امية، وذكره امورا يهم العباسيين ذكرها. وقد اكد المؤلف على نزاع الحزبين الرئيسين في مكة وهما الحزب الهاشمي والحزب الاموي. وقد توخى مؤلف السيرة ابن اسحاق وناشرها ابن هشام، الدقة في معظم اخبارهما عن الرسول وكثيرا ما يستعملان كلمة «زعموا» ليظهرا عدم تأكدهما من صحة بعض المعلومات التي يصدرانها بالعبارة المذكورة.

وقد كتب الاستاذ الفردغيوم تفصيلات وافية عن سيرة ابن اسحاق في مقدمته لترجمة

السيرة الى الانكليزية. ويعتقد غيوم ان ابن اسحاق مؤرخ منصف وغير متحيز في معظم ما اورده من معلومات.

ج. كتب التاريخ العامة- تعدّ كتب التاريخ امثال تاريخ الطبري والمسعودي والبلاذري واليعقوبي وغيرها من اهم مصادر سيرة النبي محمدﷺ.

د. مجموعات الحديث. ومن اهم المجموعات المذكورة الصحاح الستة وكتب الحديث الاربعة عند الشيعة الامامية.

مولد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ونشأته

ولد محمدﷺ سنة ٥٧٠م وكفله جده عبد المطلب لأن اباه عبد الله توفي قبل مولده ببضعة ايام. وبعد وفاة جده سنة ٥٧٩م كفله عمه ابو طالب الذي خلف عبد المطلب في حكم مكة. وكان ابو طالب شديد العطف على الفقراء والبائسين رغم قلة ما في يده.

وكان محمدﷺ يميل منذ صغره الى التأمل والتفكير، وقد صحب عمه ابا طالب مرتين الى سورية فمكنه ذلك من الاطلاع على الحياة العامة هناك. ثم سافر بتجارة خديجة الى الشام ايضاً. وكانت مدينته مكة من اشهر المراكز التجارية حينذاك. فكان اهلها يضاربون في اعمال الصرافة، وفي هبوط اثمان السلع الاجنبية وصعودها، وحول وصول القوافل وتأخرها، وحول الزرع والحصاد، وحول الديون قبل آجالها، وحول القطاع والغنائم، وكانت الغلال تحتكر، وكان يباع ما لا وجود له من السلع.

وكان الاعراب يقعون فريسة ذوي الجشع والنيات السيئة من مضاربي مكة وسماسرتها الفاسدين. وقد هال محمداﷺ ما رآه من مفاسد فانضم الى اولئك الذين كانوا ينكرون على قريش مفاسدها، فحضر وهو في السنة الخامسة والعشرين من عمره حلف الفضول في بيت عبد الله بن جدعان حيث تعاهد اناس على انصاف المظلوم وتقويم العقود،

وعملت لهم وليمة ثم صبّ ماء من بئر زمزم على الكعبة وشرب الجميع معاً مقسمين.

ويقول ابن هشام عن حلف الفضول «فتعاقدوا وتعاهدوا على ان لا يجدوا بمكة مظلوماً من اهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الاّ قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته...»[1].

وعندما بلغ محمدﷺ الخامسة والعشرين من عمره تزوج من خديجة التي اشتهرت بنبل خصالها، فرزقا عدة اطفال توفي الذكور منهم في سن الطفولة. ومن بنات خديجة فاطمة الزهراءعليها السلام التي انجبت الحسن والحسين ابناء علي بن ابي طالبعليه السلام. وقد اخلصت خديجة لزوجها وشدت ازره في ايام محنته حين تعرض لاضطهاد قريش. وقد ذكرﷺ لخديجة جميل صنعها فقال «آمنت بي اذ كفر بي الناس، وصدقتني اذ كذبني الناس، واستني في مالها اذ حرمني الناس». وكان محمدﷺ اكمل الازواج لخديجة فظل وفيا لها طيلة ربع قرن مع انها اكبر منه سنا ولم يتزوج عليها. وسلوكهﷺ معها يدحض آراء طائفة من المستشرقين التي تنسب له الاكثار من الزوجات، كما يبين ان ميله للزواج في اخريات حياته كان لأسباب سياسية، او عطفاً على النساء اللواتي فقدن ازواجهن في سبيل الدفاع عن الاسلام.

البعثة

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ فاطر: ٤٢، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ الفتح: ٢٨، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ﴾ الاحزاب: ٤٠، ارسل الله تعالى محمداﷺ بعد ان بلغ الاربعين من عمره حين تكامل بها واشتدت قواه ليكون متأهبا لما انذر به. ويرى بعض المستشرقين انه بعث قبل الاربعين ولكن هذا القول ضعيف لا يركن اليه لان المصادر لا تؤيده.

---

(١) السيرة، ج١، ص١٤١.

ولبعثته ﷺ درجات: اولها الرؤيا الصادقة والثانية ان الله تعالى قرن جبرائيل بنبوة نبيه ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه. والثالثة حديث خديجة وورقة بن نوفل. والرابعة امره بتحديث النعم ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ والخامسة حين نزل عليه القرآن. ونزل ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فأسلم علي عليه السلام[1] وخديجة ثم زيد وجعفر وابو بكر وعثمان. ولما بدأ محمد ﷺ دعوته سخرت منه قريش ولكنها عندما ايقنت من انه كان جاداً فيها انقلبت محاولتها الى اضطهاد وتعذيب، فأخذت تسيء معاملته وتسوم اتباعه صنوف العذاب مما اضطر بعضهم ان يهاجر الى الحبشة[2]، في حين بقي الآخرون يتحملون الأذى والإضطهاد بجنب الرسول ﷺ. وقد ارسلت قريش وفدا للنجاشي تطلب منه تسليم المهاجرين ولكنه امتنع عن ذلك[3]. وقد حاولت قريش مقاطعة الرسول واصحابه فكتبوا صحيفة بينهم تعاقدوا فيها على ان يمتنعوا عن البيع والشراء من بني هاشم وبني المطلب. وقد فشلت المقاطعة لصعوبة تطبيقها اولا، ولوقوف جماعة من قريش ضدها[4] ثانياً.

وقد فقد الرسول ﷺ خير معينين له وهما خديجة زوجته وابو طالب عمه اذ هلكا في عام واحد. يقول ابن هشام «فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلاك خديجة، وكانت له وزير صدق على الاسلام... وبهلاك عمه ابي طالب، وكان له عضدا وحرزا في امره، ومنعة وناصرا على قومه...»[5]. وبعد موت ابي طالب آلت رئاسة بني هاشم الى ابي لهب الذي ناصب الرسول العداء مدفوعا بمصالحه المادية[6].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٢٦٣.

(٢) أيضا، ج١، ص٣٤٤.

(٣) ابن هشام،السيرة، ج١، ص٣٥٦.

(٤) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٣٧٩.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٥٧.

(٦) المسد: ١-٢.

الهجرة الى المدينة

ضاعفت قريش اذاها للرسول بعد موت ابي طالب ففكر الرسولﷺ باختيار ميدان آخر لتبليغ رسالته فاتجه الى الطائف ولكنه لم يلاق نجاحاً فيها. وحدث ان قدم جماعة من يثرب الى مكة فحصل بينهم وبين الرسول اتفاق في بيعتين وهما بيعة العقبة الاولى[1] والثانية[2]. وقال رسول اللهﷺ لأهل يثرب، الذين عرفوا فيما بعد بالأنصار، في بيعة العقبة الثانية «ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنون منه نساءكم وابناءكم» فقالوا نعم. واشترطوا على الرسولﷺ ان يكون معهم على اعدائهم من اليهود وغيرهم[3]. واشترط عليهم الرسول ان لا يعبدوا الأوثان، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا اولادهم[4] ولا يفتروا على الناس.

وبعد عودتهم انتشر الاسلام بالمدينة واخذ اصحاب النبي يهاجرون اليها. فاستقبلهم اهل يثرب بترحيب كبير. ثم تبعهم النبيﷺ بصحبة ابي بكر.

الرسول في المدينة

لقد رحبت جماعات كبيرة[5] من اهل المدينة بالاسلام والمسلمين، مدفوعين بالايمان بالدين الجديد اولاً، وبالرغبة في التخلص من الفوضى والحرب الباردة اللتين كانتا يسودان مدينتهم ثانياً. وكان اهل المدينة مستعدين لاتباع اي طريق يساعدهم على

(١) ابن هشام، ج٢، ص٧٣.

(٢) ايضا، ج٢، ص٨١.

(٣) أيضا، ج٢، ص٨٤-٥٠.

(٤) اشارة الى منع واد البنات.

(٥) ابن هشام، ج٢، ص١٤٦.

تحسين حالتهم لذا لم يلتفتوا الى اعتراضات عبد الله ابن ابي الذي كان يطمع في ان يكون ملكاً على المدينة. وقد مهد وجود اليهود لقبول العقيدة الجديدة، ولكن البرنامج الديني والاجتماعي الجديد جذبا اهل المدينة اليه.

كان اول عمل جابه الرسول ﷺ هو توحيد المجتمع المدني، لذا حاول تسوية المشكلات القائمة بين الأوس والخزرج، ثم انه حاول ان يضم الجماعات اليهودية للدين الجديد ولكنه فشل[1]. وكان وجود النبي ﷺ في المدينة اهم عامل في انضمام الناس الى الدين الجديد من جهة، وفي توحيد الجماعات المتنافرة تحت راية الاسلام من جهة اخرى.

الصحيفة

رغب الرسول ﷺ في ان ينظم الامور الاجتماعية والعسكرية للمجتمع المدني فعقد لذلك عقدا بينه وبين اهم الجماعات التي يتكون منها المجتمع الجديد.

يقول ابن هشام ان رسول الله ﷺ: «كتب كتاباً بين المهاجرين والانصار، وادعَ فيه يهود وعاهدهم، واقرّهم على دينهم واموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم». وسمي ذلك العهد بالصحيفة فجاء فيها «وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة». واشارت الصحيفة الى ان الله مصدر السلطة وان رسوله هو الحكم الاعلى في حل القضايا المدنية والادارية التي تحصل في المدينة «وانه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث واشتجار يخاف فساده، فأن مردّه الى الله عز وجل، والى محمد رسول الله ﷺ....». «وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فأن مرده الى الله... والى محمد». واشارت الصحيفة الى ان المسلمين امة دينية متميزة «وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس...». وبين ان نفقة اليهود عليهم اثناء الحرب «وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين». وبينت الصحيفة

(١) أيضا، ج٢، ص١٦٠.

ان جميع اهل المدينة مسؤولون عن الدفاع عنها «وان بينهم (اليهود والمسلمون) النصر على من حارب اهل هذه الصحيفة»[1].

وقد اورد حميد الله الحيدر آبادي تفصيلات عن الصحيفة المذكورة وقسمها الى (٤٧) مادة[2].

ومن الجدير بالذكر ان عقد الصحيفة المذكورة يدل على بعد نظر وحنكة سياسية وادارية من جانب الرسولﷺ. وقد تعقدت العلاقات فيما بعد بين الرسول واليهود بحيث اضطر الى حربهم واجلائهم عن المدينة وضواحيها.

النزاع بين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقريش

يمكننا ان نجمل اسباب النزاع المذكور بما يأتي:

اولاً- كان النبي محمدﷺ يعلم ان قريشا هي زعيمة الجماعات الوثنية بالجزيرة ولا يمكن ان يتم النجاح للإسلام ما لم يقض على مقاومة عبدة الاوثان وعلى رأسهم قريش. وكانت حروب الرسول حروباً مقدسة، لذا نمت فكرة الجهاد تدريجياً في المدينة.

ثانياً- كانت قريش تحتكر تجارة الجزيرة العربية تقريباً ولا بدّ للمجتمع المدني الجديد ان يكسر الاحتكار المذكور لييسر له سبل البقاء والعيش.

ثالثاً- كان تنبيه اهل المدينة لعدو خارجي من الامور الضرورية لبناء الدولة الاسلامية الجديدة ورسوخها لذا كانت مقاومة قريش من الامور الضرورية لتثبيت دولة الاسلام.

وقد حدثت بين المسلمين ومشركي قريش سلسلة من الحرب اهمها معركة بدر واُحد

---

(١) ابن هشام، ج٢، ص١٤٧-١٥٠.

(٢) مجموعة الوثائق السياسية (القاهرة، ١٩٤١) ص١-٧.

و الخندق ثم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة النبوية الشريفة.

ومن الجدير بالذكر ان اسلوب النبيﷺ في الحرب لا يختلف كثيراً عن أسلوب العرب في الجاهلية إذا استثنينا غزوة الخندق. وعلى هذا يصبح من الممكن ان يحكى عن هذه الغزوات كما كان البدو يتناقلون اخبار ايامهم قبل الاسلام. ولعل اهم تمييز لهذه الحروب (المغازي) هو انها كانت تشن في سبيل اعلاء كلمة الله. وبعد ان ظهر امر الرسول وخاصة بعد وفاته وانتصار الاسلام اصبحت شخصية الرسول و الحوادث المرتبطة بنشوء الاسلام مركز الاهمية.

ولقد تعرضت كتب التاريخ و السير لوصف المعارك المذكورة لذا لا نرى ضرورة لبحث ذلك.

دعوة النبي للملوك المجاورين

ارسل النبيﷺ رسائل لعدد من الملوك المجاورين يعرض عليهم الاسلام وقد اورد ابن هشام اسماء الرسل وأسماء الملوك الذين ارسلت اليهم الرسائل المذكورة. وكانت الرسائل موجهة الى ملوك العرب والعجم. وان الرسولﷺ قال لأصحابه «ان الله بعثني رحمة وكافة»[1].

وقد اورد حميد الله الحيدر آبادي نصوص الرسائل كما ذكر المصادر التي وردت فيها[2].

ان ارسال الرسائل المذكورة، وورود النص السابق، في ابن هشام من الادلة على عالمية الدين الاسلامي، وانه موجه لا للعرب حسب بل للعالم كافة.

(١) ابن هشام، ج٤، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٢) مجموعة الوثائق السياسية، صرصر ٢٠، ٢٦، ٣٢.

يضاف الى ما سبق ان آيات عديدة وردت في القرآن الكريم تبين ان الرسالة الاسلامية موجهة للعالم كافة. ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[١].

خطبة حجة الوداع

حج الرسول (ص) حجة الوداع سنة عشر للهجرة، وتسمى الحجة المذكورة حجة الاسلام. وقد اشار (ص) في خطبته هذه الى مبادئ اسلامية مهمة منها:

اولاً- اكد على حرمة الدماء والمال «فأن الله حرّم عليكم دماءكم واموالكم...».

ثانياً- اكد على المساواة بين المسلمين «الناس في الاسلام سواء... لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي الاّ بتقوى الله».

ثالثاً- اكد على حرمة الربا «وكل ربا كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي، واول ربا اضعه ربا العباس بن عبد المطلب....».

رابعاً- اوصى بالنساء خيراً. « اوصيكم بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم لا يملكن لأنفسهن شيئاً... ولكم عليهن حق ولهن عليكم حق...».

خامساً- اشارﷺ الى الثقلين. وعندما سئل عنهما قال «الثقل الاكبر كتاب الله... وعترتي اهل بيتي»[٢].

الوفاة

توفي رسول اللهﷺ ليلة الاثنين في الثاني من ربيع الاول سنة ١١هـ عن ثلاث وستين عاماً.

---

(١) يوسف، الآية ١٠٤؛ الصافات، آية ٨٧، القلم آية ٥٢.

(٢) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص ٩١-٩٣.

الفصل الثالث:

الخلفاء الراشدون

لقد نشأت مشكلة خلافة النبيﷺ في حكم الامة الاسلامية بعد موته مباشرة، وقد قامت ازمة سياسية حول موضوع الخلافة وتصارع المكيون والمدنيون على السلطة وتألفت عدة جماعات سعت كل منها الى الحصول على الخلافة لمرشحها. وكانت اهم الجماعات المتنافسة:

أ. المهاجرون وكان معظمهم يميل الى ابي بكر.

ب. الانصار وكانوا يرون انهم احق بالخلافة من قريش.

ج. شيعة علي بن ابي طالب وكان مرشحهم الامامعليه السلام. وكانت كل جماعة تدعم وجهة نظرها بحجج، فالأنصار كانوا يعتقدون انهم ناصروا الاسلام وقدموا كل امكاناتهم لنجاحه، وعلى هذا فهم اولى بالخلافة من غيرهم. اما جماعة ابي بكر فكانت ترى ان مرشحها يتمتع بميزات منها كبر سنه، وسابقته في الإسلام، ومرافقته للرسول في هجرته من مكة الى المدينة، وترشيحه لأن يؤم المسلمين بالصلاة خلال مرض الرسول الاخير. ويعتقد شيعة عليعليه السلام ان مرشحهم يتمتع بميزات لا يتمتع بها غيره، ويترتب على هذا انه احق من غيره بالخلافة. ومن اهم ميزات الامام علي سابقته في الإسلام؛ وبلاؤه في قتال المشركين تحت راية الرسولﷺ؛ وقرابته من الرسول؛ واهم من كل ما سبق انهم يعتقدون ان النبيﷺ عيّن علياًعليه السلام للإمامة.

ويستندون في قولهم الاخير على روايات متعددة منها رواية الطبري وابن الاثير وخلاصتها ان الرسولﷺ قال مرة مخاطباً بني هاشم «فإيكم يؤازرني على هذا الامر

على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم» فاحجم القوم عنها جميعاً، وكان علي بين الحاضرين فقال «انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه» فقال الرسول «ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا»[1].

وبالرغم مما سبق يبدو ان حزب ابي بكر كان اقوى الاحزاب فنجح في نيل الخلافة لمرشحه.

سقيفة بني ساعدة:

لقد تمت البيعة الخاصة لأبي بكر في محل يعرف بسقيفة بني ساعدة. وقد وردت تفصيلات عما دار في سقيفة بني ساعدة في ابن هشام[2] والطبري[3] وغيرهما من المصادر. ويمكن ان نجمل العوامل التي ساعدت ابا بكر على النجاح بما يلي:

١. كان ابو بكر شيخاً مسناً، وكبر السن حسب التقاليد العربية من الشروط التي يستحسن توافرها في المرشح للرئاسة.

٢. كان اغلب المهاجرين، وجلهم من قريش، لا يميلون لتأييد علي لأنه كان شديداً في حربهم في عهد الرسولﷺ، ولأنهم لم يرضوا بأن تكون النبوة والامامة في بني هاشم فيفخروا عليهم[4].

٣. ساعدت مبادرة ابي بكر للعمل بعد وفاة الرسول على نجاحه، بينما انشغل علي والهاشميون في دفن الرسولﷺ.

٤. يرى لا مانس ان ابا بكر وعمرو ابا عبيدة قد عملوا على كسب الخلافة، وقد ادى

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢ (القاهرة، ١٩٣٨) ص٦٣؛ ابن الاثير، الكامل، ج٢، ص٢٢.

(٢) السيرة، ج٤، ص٣٠٦-١٢.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٤٥٥.

(٤) الطبري، ج١، ص٢٨٨.

تعاونهم الى نجاح مرشحهم وهو ابو بكر.

٥. وبعد ان تولى ابو بكر الخلافة خطب فقال « اما بعد ايها الناس، فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن احسنت فأعينوني، وان أسأت فقوموني... اطيعوني ما اطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم»[١].

حروب الردة

ما كاد خبر وفاة النبيﷺ ينتشر حتى تمرد عدد كبير من القبائل العربية واعلنوا دعوتهم للوثنية بعد اسلامهم، ومن المرجح ان الجزيرة لم تسلم كلها قبل وفاة الرسول لذا كان عدد من المرتدين وثنيين ثاروا على حكومة ابي بكر. وقد سمع احد الاسرى يقول «ما امنت طرفة عين قط».

وهناك اشارات تبين ان جماعة من الثائرين احتفظوا بإسلامهم[٢] ولكنهم لم يرضوا عن حكومة ابي بكر. وثار بعضهم رغبة في التخلص من ضريبة الزكاة لأن اولئك الاعراب لم يعتادوا دفع الضرائب لحكومة مركزية. ورأى بعضهم انهم بايعوا النبي وحسب، وان هذه البيعة لا تربط صاحبها الاّ بشخص من اعطيت له.

ويورد السيد امير علي سببين للأرتداد وهما:

اولاً - المبادئ الاخلاقية الصارمة التي فرضها الاسلام.

ثانياً - نفور القبائل من دفع الزكاة[٣].

---

(١) ابن هشام، ج٤، ص٣١١.

(٢) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص١٤٨.

(٣) مختصر تاريخ العرب (بيروت، ١٩٦١) ص٢٩.

وقد تمكن المسلمون بقيادة ابي بكر من القضاء على المرتدين[1]. وكان خالد بن الوليد من ابرز قواد المسلمين في حروب الردة.

الفتوحات الخارجية

اولاً: الحرب مع الفرس

لقد ادت حروب الردة في الشمال الشرقي من شبه جزيرة العرب الى تصادم المسلمين مع القبائل الرحالة الخاضعة لسلطان الحيرة التي كانت تحت نفوذ الساسانيين. ولم تكد تنتهي حروب الردة حتى اشتبك خالد بن الوليد والمثنى الشيباني في معارك عديدة مع العشائر الساكنة في المناطق التابعة للحيرة. وكان المثنى يغير على السواد في رجال من قومه قبل ظهور الإسلام، وقد استأذن ابا بكر في قتال الفرس فأذن له، ثم عزز جبهة العراق بجيش تحت قيادة خالد بن الوليد. وتمكن الجيش المذكور من فتح الحيرة صلحاً على ان يدفع اهلها مائة الف او ثمانين الف درهم في كل عام، وعلى ان يكونوا عيوناً للمسلمين على اهل فارس، وان لا يهدم لهم بيعة ولا قصراً[2]. وتقدمت جيوش المسلمين ففتحت عدداً من المناطق العراقية. ويرى امير علي ان استيلاء المسلمين على الحيرة ادى بحكومة الفرس الى ان تدرك الخطر المحدق بها من حدود دولة فتية متحمسة على حدودها. ويرى ايضا ان الفرس لم يكونوا حكماء اذ انهم لم يتفاهموا مع العرب وقرروا حشد جيش كبير لإجلائهم عن كلدة[3].

(١) فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها - ترجمة عبد الهادي ابو ريده (القاهرة، ١٩٥٨) ص ٢٣.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان (القاهرة، ١٩٣٢) ص ٢٤٤.

(٣) مختصر تاريخ العرب، ص٣٣.

ثانياً: الحروب مع الروم

رأى ابو بكر بعد فراغه من حروب الردة توجيه الجيوش الى الشام فكتب الى المسلمين «يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم، فسارع الناس اليه من بين محتسب وطامع»[١]. وقد وجه ابو بكر عددا من القواد المسلمين لفتح الشام وقال للأمراء «إن اجتمعتم على قتال فأميركم ابو عبيدة عامر بن عبد الله»[٢].

يضاف الى ذلك ان ابا بكر طلب من خالد بن الوليد ان يتوجه من العراق لنجدة المسلمين في الشام. فتوجه خالد واتخذ معه دليلا فمر بتدمر وفتحها ثم قطع صحراء الشام بثمانية أيام، ويعدّ كثير من المؤرخين قدوم خالد الى الشام ونجاحه بقطع الصحراء بهذه السرعة من الاعمال العسكرية المهمة.

ومن الاعمال المهمة التي تمت في عهد ابي بكر جمع القرآن، وقد جمع في صحف بعد ان كان مبعثراً في اصول الجريد واكتاف الابل والغنم والجلود والخزف، وفي صدور جماعة من الصحابة.

وروى ان علي بن ابي طالب كان قد جمعه لما قبض رسول الله واتى به يحمله على جمل وقال هذا القرآن قد جمعته[٣].

وفاة ابي بكر: توفي ابو بكر بعد ان مضى في الخلافة سنتين ونصف. وقسم ابو بكر بين الناس بالسوية، وفي عهده تمكن الاسلام من بلاد العرب ومهد لفتح سورية بلاد الفرس.

---

(١) البلاذري، ص١١٥.

(٢) ايضاً، ص١١٦.

(٣) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص١١٣.

خلافة عمر:

تولى عمر الخلافة بعد أبي بكر بوصية منه. وكان بعض المسلمين غير راغب في توليه الخلافة لشدته. وسمي الخليفة الجديد امير المؤمنين بعد ان كان سلفه يسمى خليفة رسول الله. ويدل اللقب الجديد على الصفة العسكرية للحاكم.

وقد ردّ عمر سبايا اهل الردة الى ذويهم وقال اني كرهت ان يكون السبي سنة في العرب. ويعدّ عمر مؤسساً لإمبراطورية اسلامية واسعة، وفي عهده اصبح الاسلام ظاهرة عالمية لها اهميتها في التاريخ العالمي بعد ان كان اثره مقتصرا على الجزيرة.

وقد ظهرت اهمية عمر في المدينة حيث عمل تحت راية الرسولﷺ لبناء الدولة الثيوقراطية الجديدة، ولم تبرز اهميته كمحارب بل كان مشيراً في الامور الادارية خاصة في عهد ابي بكر، اذ يعدّ عمر اكبر شخصية اثرت في تسيير شؤون سلفه، ولم يظهر بينهما اختلاف حول امور مهمة سوى قضية عزل خالد بن الوليد بعد اتهامه بمقتل مالك بن نويرة من دون حق.

استمرار الفتوحات في عهد عمر:

كان المسلمون على وشك ان يخوضوا معركة اليرموك عند وفاة ابي بكر، وقد وفقت قيادة الجيش الاسلامي فاختارت مواقع عسكرية جيدة، بينما اختار خصومهم مواقع لا تصلح للحركات العسكرية الامر الذي ساعد على دحرهم في ٣٠ آب ٦٣٤م.

وكانت عدة جيش الروم (٢٤٠) الف مقاتل بينما تقدر قوة المسلمين بأربعين الف مقاتل. وقد مني الرومان بهزيمة منكرة بعد ان اعمل العرب المسلمون فيهم السيف واغرقوا قسماً كبيراً من جيشهم في نهر اليرموك.

ويبدو ان عدد جيش الروم مبالغ فيه، اذ ان الروم لم يستطيعوا ان يجهزوا حينذاك

جيشاً بهذا العدد. ويرى فازلييف ان الروم في تلك الفترة كانت فيهم حاجة الى الرجال المحاربين بعد ان خسروا كثيراً من رجالهم في حروبهم مع الفرس التي انهكت الدولتين معاً. يضاف الى ذلك ان كثيراً من سكان البلاد الاصليين لم يساندوا دولتهم بقوة لوجود خلافات دينية بين الحكومة والسكان.

ولما بلغ هرقل خبر اليرموك، وايقاع المسلمين بجيشه هرب من انطاكية الى القسطنطينية، فلما جاز الدرب قال: «عليك يا سورية السلام، ونعم البلد هذا للعدو يعني ارض الشام لكثرة مراعيها»[١].

ويبدو ان القول المذكور مبالغ فيه اذ ان مقاومة الروم بعد اليرموك بقيت قوية، وانهم اظهروا قوة وشجاعة خاصة في دفاعهم عن مصر.

توجهت جيوش المسلمين بعد واقعة اليرموك لإكمال فتح البلاد. ومن المدن التي صعب عليهم فتحها دمشق، ولكنهم فتحوها بعد ان ضيقوا عليها الحصار. ويروي اليعقوبي ان المسلمين استمروا في حصار دمشق حولا كاملاً.

الجبهة العراقية:

ترك خالد العراق متوجها نحو الشام كما اسلفنا. وقد سلم قيادة جيش المسلمين للمثنى بن حارثة. وكان المثنى من اشهر القواد، وكانت له معرفة جيدة في شؤون البلاد وفي حروب الفرس، ولكنه لم يكن ذا سابقة في الإسلام، وكان ذلك من الامور التي حالت دون تسلمه القيادة العامة في العراق بصورة دائمية. وقد انتدب الخليفة عمر سعد بن ابي وقاص لهذه المهمة، وقد تم على يده فتح معظم البلاد العراقية، وبقيادته ربح المسلمون معركة القادسية.

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٤٢.

القادسية:

لقد تولى كسرى يزدجرد حكم بلاد فارس في تلك الفترة فقرر وقف تقدم العرب، وعندما علم عمر باستعداد الفرس اهتم بالأمر وكتب الى ولاته: «لا تدعوا احدا له سلاح او فرس، او نجدة، او رأي الاّ انتخبتموه ثم وجهتموه اليّ والعجل العجل» فأتت النجدات من كل مكان.

وقد اشتبك المسلمون بمعركة حامية مع الفرس دامت ثلاثة أيام، وانكشفت المعركة عن هزيمة الفرس ومقتل قائدهم رغم وجود الفيلة في جيشهم التي سببت ذعراً في اول الامر لخيل العرب. وقد قررت القادسية مصير العراق ففتحت المدائن وغيرها بعد ذلك.

فتح مصر:

ما فتح المسلمون سورية الاّ ستمر الرومان على مضايقة العرب في البحر فرأى الخليفة عمر بعد تردد ارسال حملة الى مصر بقيادة عمرو بن العاص فتمكنت من فتح مصر بعد معارك دامية. وقد صعب على العرب فتح مدينة الاسكندرية لان المدد كان يأتيها من البحر. وهكذا اصبحت مصر كلها، حتى حدود الحبشة في الجنوب وليبيا في الغرب، خاضعة لسلطان المسلمين. وكان وقع خسارة مصر كبيراً على الرومان لأن مصر كانت تمون عاصمتهم القسطنطينية بالحبوب والقراطيس.

اداريات عمر:

لقد واجهت الخليفة مشكلة الغنائم او الفيء و خاصة الأراضي. وأصبحت الغنائم فيما بعد تعني الأموال المنقولة، اما الفيء فكان يعني الارض وقد شاور عمر الصحابة

حول الموضوع المذكور وخاصة في امر سواد الكوفة، فأشار بعضهم بتقسيم ارض السواد بين الفاتحين بينما اشار البعض الآخر بضرورة بقاء الارض المفتوحة ملكاً للامة الاسلامية. وكان الامام علي بن ابي طالب من بين القائلين ببقاء الارض من دون تقسيم.

وقد اهتم الخليفة عمر بأمر السواد فأرسل عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان وامرهما ان لا يحملا احداً فوق طاقته. وامرهما الاّ يمسحا تلا ولا اجمة، ولا مستنقع ماء، ولا مالا يبلغه الماء. ووضع على كل جريب (وحدة مساحة) مزروعاً او صالحاً للزراعة قفيزاً (وحدة كيل) ودرهماً اذا كان مزروعا بالشعير، ودرهمين اذا كان مزروعا بالحنطة؛ وعلى جريب النخيل خمسة دراهم وهكذا تختلف مقادير الضريبة حسب اختلاف المحاصيل. وسميت الضريبة السابقة في السواد ضريبة الخراج، اما الجزية او ضريبة الرؤوس فكانت في المنطقة نفسها (٤٨) درهما على الموسرين و (٢٤) درهما على الطبقة الوسطى، و (١٢) درهما على الفقراء، وقد عوملت منطقة البصرة معاملة منطقة الكوفة.

ودون عمر الدواوين، فقسم الناس الى طبقات لكل طبقة مقدار من المال يسمى «العطاء» وبذا عدل عمر عن مبدأ المساواة في القسمة الذي كان متبعا في عهد الرسولﷺ وابي بكر وعليعليه السلام فيما بعد. يقول البلاذري ان عمر كتب الى عائشة ام المؤمنين «في اثني عشر الفاً، وكتب الى سائر ازواج النبيﷺ في عشرة آلاف، وفرض لعلي بن ابي طالب في خمسة آلاف...»[(١)].

ويبدو مما سبق ان الاسس العامة للدولة الاسلامية وضعت في عهد الخليفة عمر؛ وان معظم الموجة الاولى من الفتوحات الاسلامية تمت في عهده.

وقبل ان ننهي الكلام عن خلافة عمر نذكر ما يأتي عن الفتوحات الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين:

---

(١) فتوح البلدان، ص٤٣٥.

الفتوحات الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين:

لقد استطاع المسلمون ان يفتحوا معظم بلدان الشرق الاوسط ومصر في عهد الراشدين. وقد كانت حروبهم مع الفرس والروم من الاحداث العالمية المهمة، وقد تكون فتوحاتهم هذه اهم حادث حصل في بداية العصور الوسطى، وتفوق الحروب المذكورة من حيث الاهمية الهجرات التيوتونية التي قضت على الامبراطورية الرومانية في الغرب.

وتعتبر الفتوحات الاسلامية التي وصلت قيمتها عند فتح الاندلس بداية للعصور الوسطى. ومن اهم الاسباب التي ساعدت المسلمين على القيام بالفتوحات المذكورة:

اولاً- ضعف دولتي الروم والفرس نتيجة للحروب المتكررة بينهما، وقد ادت الحروب المذكورة الى خسائر جسيمة في الرجال والنفقات من الدولتين معاً، فالروم مثلاً رغم انتصارهم الساحق على الفرس قبيل ظهور الاسلام كانت فيهم حاجة الى الرجال لصد الهجوم الاسلامي. يضاف الى ذلك ان الدولة الرومانية كانت قد تكبدت خسائر كبيرة في المال لتصد هجمات الفرس، مما حدا بالإمبراطور الروماني ان يستعين بأموال الكنيسة ليسد نفقات تلك الحروب. اما الفرس فهم الآخرون فقد انهكتهم حروبهم مع الروم لدرجة جعلتهم عاجزين عن مقاومة الجيوش الإسلامية الفتية. يضاف الى ذلك ان كثرة النفقات جعلت حكومتهم تثقل كاهل شعبها بالضرائب فتزيد من تذمره.

ثانياً- كان كثير من سكان الامبراطوريتين من العنصر السامي، وبعضهم من العرب، وقد ساعدت جماعات كبيرة من اولئك السكان الجيوش الاسلامية الفاتحة.

ثالثاً- الخلافات الدينية بين السكان وبين ممثلي الكنيسة الرسمية وظهور ذلك الاختلاف جليا في سورية ومصر، حيث كانت الكنيسة الرسمية الارثذوكسية تضطهد الكنائس المونوفستية المهرطقة في نظرها. وكان النساطرة في العراق لا يدينون بالولاء للكنيسة

الرومانية الرسمية شأنهم في ذلك شأن المونوفستيين في سورية ومصر.

رابعاً- كانت معنوية الجيش الاسلامي عالية وكانت الحرب في نظرهم حرباً مقدسة مما ساعدهم على النصر.

خامساً- يرى كثير من المؤرخين ان شحة موارد الجزيرة العربية وكثرة سكانها قبيل حصول الفتوحات الاسلامية جعلت المسلمين يبحثون عن فتح بلاد غنية امثال الهلال الخصيب ليحلوا مشكلاتهم الاقتصادية.

سادساً- ان وجود طبقة اقطاعية في مصر جعلت السكان يتذمرون من تحكم الطبقة المذكورة، هذا فضلا عن تذمرهم من سياسة الحكومة المركزية.

ان العوامل المذكورة مجتمعة تفسر لنا نجاح المسلمين في فتح بلاد شاسعة وغنية دون ان ينفقوا كثيرا من الجهد والمال. وقد استطاعوا ان يقضوا على امبراطورية الفرس ويفتحوا اوسع واخصب ولايات الامبراطورية الرومانية. ويرى بعض المؤرخين ان ما قام به القواد المسلمون من فتوحات في هذا العهد لا يقل من حيث الاهمية عن الفتوحات التي قام بها الاسكندر الاكبر وهنيبال وغيرهم من القواد المشهورين في التاريخ.

خلافة عثمان:

تولى عثمان الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب. وكان عثمان رجلا ذا سابقة في الاسلام وخدمة في سبيله ولكنه كان متساهلا في سياسته مع عماله من بني امية بصورة خاصة ومع قريش بصورة عامة. وقد خالف سياسة سلفه عمر بهذا الخصوص. وكان يقول: «ان عمراً كان يمنع اهله واقرباءه ابتغاء وجه الله، وانا اعطي اهلي واقربائي ابتغاء وجه الله»[1]. وكانت سياسة عثمان هذه من اهم العوامل التي عابه المسلمون من اجلها لا سيما ان سلفه كان حريصا على بيت المال، فكان يقول: «اربع من امر الاسلام لست

(١) الطبري، ج٣، ص٢٩١.

مضيعهن ولا تاركهن لشيء ابداً، القوة في مال الله، وجمعة اذا جمعناه وضعناه حيث امر الله وقعدنا آل عمر ليس في ايدينا ولا عندنا منه شيء»[1]. وكان لين عثمان موضع تخوف عمر فقال: «فإن ولي عثمان فرجل فيه لين...»[2].

وقد رأى قادة قريش عامة وبني امية خاصه ان لين عثمان وتساهله في حقوق بيت المال خير معين على تحقيق مآربها التي تتلخص في اعادة نفوذها السابق، واحتجان ثروة المسلمين لأغراضها الخاصة.

يقول طه حسين: «ان عثمان كان عليه ان يسلك احدى سبيلين لا ثالثة لهما: أما ان يشتد كما اشتد عمر فيمسك زعماء المهاجرين في المدينة، ويظهر لعامة قريش ما كان يظهر لها عمر من سوء الظن بها... واما ان يلين فيخلي بين قريش وبين الطريق تمضي فيها الى غير غاية لا حد لطمعها. وسنرى ان عثمان قد اختار الثانية راضياً او مكرهاً عليها»[3].

الفتوحات في عهد عثمان:

لقد استمر المسلمون في فتوحاتهم في عهد عثمان، فأتموا فتح ايران وقضوا على مقاومة الفرس في الاقسام الشرقية من البلاد.

ولم يقتصر المسلمون في هذا الدور على الحروب البرية بل شنوا حروباً بحرية ايضاً. وقد استطاع معاوية، والي عثمان على الشام، ان يستفيد من خبرة السوريين في بناء السفن، وينتفع بوفرة الاخشاب الضرورية لبنائها في سورية فبنى اسطولاً اسلامياً ضخماً. وفي الوقت نفسه كان ولاة عثمان على مصر يعملون على تقوية الاسطول الاسلامي. وكان اهتمام المسلمين في تقوية الاسطول نتيجة لهجمات الروم على سواحل سورية ومصر من

---

(١) الطبري، ج٣، ص٢٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٩٢.

(٣) الفتنة الكبرى، ص٨٤؛ وفلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، ص٣٩.

جهة، ورغبة في فتح بلاد جديدة وخاصة البحرية منها من جهة اخرى.

ومن اهم المعارك البحرية التي حدثت بين الروم والمسلمين في عهد عثمان هي معركة ذات الصواري. وكان عدد سفن الاسطول الروماني (٥٠٠) سفينة. وكانت تلك المعركة من المعارك الشديدة حتى اصبحت جثث الرجال ركاماً على رواية الطبري. وكان النصر فيها للمسلمين رغم تفوق الاسطول الروماني من حيث العدد والعدة. وكان لهذه المعركة اهمية كبرى لأنها اظهرت قدرة المسلمين على صد هجمات الروم البحرية، كما انها كانت فاتحة لشن حملات بحرية منظمة موجهة نحو عاصمة الروم.

الثورة على عثمان:

يمكن تلخيص اسباب الثورة المذكورة بما يلي:

١. لقد نقل الكثيرون على عثمان نتيجة لسياسة الترف التي فشت في عهده.
٢. تذمر كثير من اهل الامصار والاعراب والطبقات الفقيرة في الحجاز لأسباب مالية في الغالب. وقد ظهر للعرب من سكان الامصار وللأعراب من سكان البوادي ايضا ان ثمرة الفتوحات التي تمت بسيوفهم اصبحت نهبا بيد الطبقة الغنية من قريش[١] وبني امية خاصة. وقد اتضحت النتيجة المذكورة بعد توقف الفتوحات ومعها الغنائم في اخريات عهد عثمان. ويقول فلهاوزن في هذا الصدد «وطالما كانت الغنيمة... تتدفق من غير انقطاع الى ايدي الجند من طريق الحملات الحربية المتواصلة، فإنهم كانوا لا يبالون ولا يهتمون ان تضع الحكومة يدها على الفيء وعلى الناس وعلى الممتلكات الثابتة في البلاد المغلوبة... اما الآن فقد ادركوا انهم... قد تركوا غيرهم... يستحوذ على خير ما في الغنيمة»[٢].

---

(١) الطبري، ج٣، ص٤٢٦.

(٢) الدولة العربية وسقوطها، ص٤١.

٣. لقد رأى عثمان ان يوجد نسخة موحدة للقرآن ويجعل المسلمين في جميع الامصار يعتمدونها دون غيرها. وكان نبل القصد يحدو الخليفة للقيام بالعمل المذكور الذي من شأنه حفظ وحدة كتاب الله الكريم. وتمخض عمل عثمان هذا عن حفظ القرآن من الاختلافات المحلية التي تسربت للكتب المقدسة في الاديان الاخرى. وبالرغم من حسن نية عثمان في عمله المذكور كانت نتيجته وبالاً عليه، اذ ان القرّاء، وهم طبقة مارست نفوذاً، بحكم كونها مفسرة للقرآن، على عامة الناس، لم يعجبهم عمل عثمان لأنه حرمهم من نفوذهم فحرضوا الناس على الخليفة واشتركوا بالثورة ضده.

٤. تذمر بعض الصحابة من سياسة عثمان، وكان اشد المنتقدين لسياسته عبد الرحمن بن عوف في آخر حياته، وابو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وطلحة والزبير. وكان أبوذر من اشد المنتقدين لسياسة عثمان وسياسة ولاته وخاصة تصرفاتهم المالية. وقد اغدق عثمان الاموال على بني امية فأعطى مروان بن الحكم مبالغ كبيرة من بيت المال، واعطى اخاه الحارث (٣٠٠) الف درهم. وعندما عوتب ابو ذر على نقده لعثمان قال لئن ارضي الله بسخط عثمان احبّ الي من ان ارضي عثمان بسخط الله.

اما دور عبد الله بن سبأ في تحريض المسلمين على عثمان فهو امر الى الخرافة اقرب منه للحقيقة. وقد تمخضت العوامل المذكورة عن ثورة عارمة اسفرت عن نجاح الثوار ومقتل الخليفة.

وكان اضعاف القوة المعنوية للمدينة، ورجحان كفة الامصار التي تستند على قوتها العسكرية من اهم نتائج الثورة على عثمان. و لتفصيل ذلك نقول، لقد تكونت في المدينة بعد هجرة الرسولﷺ اليها طبقة من اصحابه استمدت قوتها من تقواها، واعتماد الرسول على افرادها وتزكيته لأعمال الكثيرين من افرادها. وكان كثير من افراد الطبقة الجديدة لا يمتون بصلة لأرستقراطية قريش التي حكمت مكة في الجاهلية، يضاف الى ذلك انها كانت تشعر ان تقدمها وقوتها يتوقفان على تطبيق مفاهيم الاسلام ومثله، لذا كان تقدمها واتساع نفوذها موضع تذمر وحسد من جانب ممثلي العهد القديم وزعمائه

من بني امية. وقد تمكن ممثلو العهد الجديد من الاسهام الفعلي في ايصال الخلفاء الثلاثة الاول الى الحكم من جهة، وفي تكوين رأي عام في المدينة له تأثير في حكمهم وفي قراراتهم المهمة. واخذ نفوذ ممثلي العهد الاسلامي الجديد يتقلص شيئاً فشيئاً بعد ان برز قادة بني امية الى الصفوف الاولى في حكم الدولة خلال خلافة عثمان. وبعد ان اشتدت مطالبة اهل الامصار بالاشتراك بالحكم مستفيدين من وقوع عثمان تحت سيطرة الامويين، وبعد ان تكللت جهودهم بالنجاح حين ازاحوا الخليفة عثمان بالقوة، اصبحت السيطرة للقوة التي يملكها اهل الامصار دون المدينة التي كانت تستمد قوتها من نفوذها المعنوي بالدرجة الاولى. وهكذا اصبحت القوة في المستقبل هي التي تأتي بالخليفة وليست البيعة التي كان لها القول الفصل في حالة الخلفاء الثلاثة الاول.

خلافة الامام علي (عليه السلام)

بويع علي بالخلافة بعد مقتل عثمان دونما معارضة. ويقول المؤرخ الفرنسي سيديلو، نقلا عن امير علي، «كان يخيل للمرء ان الجميع سينحنون، عند مبايعتهم علياً بالخلافة، امام هذه العظمة البالغة الطهر والجلال، ولكن المقدّر كان غير ذلك»[1].

وكان علي كارها للبيعة في بداية الامر. ولكنه قبلها تحت إلحاح الصحابة قال الطبري «سأل علياً اصحاب رسول الله ﷺ ان يتقلد لهم وللمسلمين فأبى عليهم فلما ابوا عليه وطلبوا اليه تقلد ذلك لهم»[2].

ويبدو ان الخليفة الجديد كان يشعر ان من بين اسباب سخط المسلمين على سلفه هو تصرفه ببيت المال دون رضاهم، لذا خطب فيهم قبل البيعة فقال «اني قد كنت كارهاً

---

(١) مختصر تاريخ العرب، ص٥٦.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٤٥٠.

لأمركم فأبيتم الا ان اكون عليكم، وانه ليس لي امر دونكم، الا ان مفاتيح مالكم معي الا وانه ليس لي ان اخذ منه درهماً دونكم رضيتم قالوا نعم. قال اللهم اشهد ثم بايعهم»[١].

وما كاد الخليفة الجديد يصل الى الحكم حتى احاطه بنو امية بكرههم وحسدهم، وانقلب عليه طلحة والزبير انقلاباً كبيراً[٢]، وكان ولاء كثير من الاعراب مشكوكاً فيه. وكان معظم الاعراب قد ثاروا على عثمان رغبة في التخلص من سلطة قريش فلم يرضهم ان يروا قريشاً جديداً على منصة الحكم. ويرى دي غويه ان الذين اغتالوا عثمان هم انفسهم الذين اغتالوا علياً[٣].

ورأى الخليفة ان يعزل ولاة عثمان الذين نقم الناس عليهم لسوء تصرفهم. وكان اجراؤه المذكور موضع جدل بين المؤرخين. وروى المؤرخون قصة مشورة المغيرة بن شعبة للإمام علي وملخصها انه اشار عليه في ابقاء ولاة عثمان وخاصة معاوية حتى يستقيم له الامر، وان علياً لم يقبل نصيحة المغيرة بذلك[٤].

واتهمت طائفة من المؤرخين المحدثين، معتمدين على قصة مشورة المغيرة وامثالها من القصص علياً بقصر النظر بالسياسة وارى ان قصة مشورة المغيرة موضوعة، وان اتهام علي بقصر النظر في السياسة لا يصمد للنقد للأسباب الآتية:

١. ان المعارضة التي اطاحت بحكم عثمان لا تسمح بالتعاون مع ولاته لسوء سيرتهم، ولتصرفاتهم بأموال المسلمين كما سبق ان أوضحنا ذلك، فكيف يستطيع الخليفة الجديد ان يقرهم في مراكزهم من دون التعرض لخطر استمرار الثورة عليه[٥]. وكاد

(١) ايضاً، ج٣، ص٤٥١.

(٢) فلهاوزن، المصدر السابق، ص٥٢.

(٣) مادة خلافة، الموسوعة البريطانية.

(٤) الطبري، ج٣، ص٤٦١.

(٥) الدوري، عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام (بغداد، ١٩٤٩) ص١٤.

الثوار يملكون زمام الامور في المدينة حين بويع الخليفة. يضاف الى ذلك ان الخليفة الجديد كان حريصاً على اقامة العدل لذا يصعب عليه التعاون مع ولاة عثمان.

٢. ان انتقال الامام علي الى العراق وتركه المدينة يدل على بعد نظر في السياسة، لان العراق كان المركز الحقيقي لأنصاره، هذا من جهة ومن جهة اخرى ان ثروة البلاد وقوة قبائلها وكونها مركزا للجيش تجعلها من اصلح المراكز لمقاومة معاوية الثائر في الشام. وكان لدى الثائر المذكور من العدة ما يصعب على اهل الحجاز وعاصمتهم المدينة التغلب عليه.

٣. ان المثل الاسلامية العليا لعلي عليه السلام املت عليه الخطوط العامة لسياسته وجعلته يعزف عن المصانعة ومدراة الخصوم وعلى رأسهم ولاة العهد السابق. ومن الملاحظ ان المثل المذكورة كانت بعيدة عن فهم الاعراب والقبائل العربية في الامصار وخاصة العراق لذا كان الامام يسعى لتطبيق مثله الاسلامية بمعونة اتباع لا تدين اكثريتهم بالولاء لتلك المثل، ولا هي مستعدة للتضحية في سبيلها. روى الكشي ان الامام الباقر قال لهشام الكلبي «كان علي بن ابي طالب عليه السلام عندكم بالعراق يقاتل عدوه ومعه اصحابه، وما كان فيهم خمسون رجلا يعرفونه حق معرفته، وحق معرفته امامته»[1].

(١) الرجال (كربلاء، لا.ت.) ص١٢.

حروب الامام علي

١. حرب الجمل

لقد خرج الزبير وطلحة لحرب الخليفة في البصرة رغم مبايعتهما اياه، وقد ايدتهما ام المؤمنين عائشة. وتمكن الخليفة من اخماد ثورتهما. وعندما سئل علي عليه السلام عن اسباب قتاله لأهل البصرة قال «قتلوا شيعتي وعمالي... وقاتلوا عمالي وفي اعناقهم بيعتي»[1].

٢. صفين

اتخذ الامام علي الكوفة عاصمة له، وبعد ان كسب معركة الجمل استتب له الامر في جميع انحاء البلاد الاسلامية سوى الشام التي يحكمها معاوية. وعند اعلان بيعة الخليفة الجديد، امتنع معاوية عن البيعة واخذ يستعد لمقاومته. وقد جرت مفاوضات بين الفريقين ولكنها لم تسفر عن نتيجة فوقعت معركة صفين المشهورة. وكانت الاوضاع السياسية التي جرت فيها المعركة في صالح معاوية. يقول الدكتور طه حسين ان عثمان هو الذي مهد لمعاوية ما اتيح له من نقل الخلافة ذات يوم الى آل سفيان وتثبيتها في بني امية، فلما كانت البيعة نظر معاوية فاذا هو ابعد الامراء بالولاية عهدا، واقواهم جندا، واملكهم لقلب الرعية[2]. ويرى فلهاوزن ان عرب سوريا كانوا اكثر العرب تفهماً للنظام، واعتادوا ذلك عندما كانوا تحت حكم الرومان، وكان ذلك من العوامل المساعدة على نجاح معاوية[3].

---

(١) المنقري، واقعة صفين (القاهرة، ١٣٦٥هـ) ص٧.

(٢) الفتنة الكبرى، ص١٢.

(٣) الدولة العربية وسقوطها، ص٤٨.

وقد كان جند علي عليه السلام على عكس جند معاوية من حيث التقييد بالنظام واطاعة القائد، وكان الخليفة يتمنى ان يستبدل بعشرة منهم واحداً من جند معاوية. (تقرأ تفصيلات حرب صفين في الطبري ج٣، ص٥٦٠ وفي بداية الجزء الرابع منه؛ وفي فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها ص٤٢-٥١ الترجمة العربية، والخوارج والشيعة، ص٣ وما بعدها).

وكادت معركة صفين ان تنتهي لصالح الخليفة لولا مهزلة رفع المصاحف التي قيل ان عمرو بن العاص مثلها على مسرح تلك المعركة. يقول فلهاوزن «كانت لمعركة صفين نتائج بالغة الخطورة، تلك المعركة التي خدع فيها الظافر عن ظفره... فحينما لاح خطر الهزيمة رفع اهل الشام المصاحف... فأحدثوا في اهل العراق الاثر المطلوب... حقا ان علياً [عليه السلام] قد ادرك الحيلة، بيد انه لم يستطع ان يبدد مفعولها، بل هدد شخصيا لما حاول ذلك»[1].

وروت المصادر ان الحرب بين الخليفة ومعاوية انتهت بالتحكيم الذي لم يكن عليٌّ عليه السلام راغباً فيه[2]، ان صحت قصة حصوله، كما انه لم يثق بأبي موسى الاشعري ولم ينتخبه ممثلا عنه. روى ابن قتيبة ان علياً قال «ان الانصار والقراء اتوني بأبي موسى فقالوا ابعث هذا فقد رضيناه ولا نريد سواه...»[3].

وهكذا غلب اهل العراق في صراعهم مع اهل الشام او على الاقل خسروا المعركة، ونتج عن ذلك ان الخلافة ومعها بيت المال انتقلت من الكوفة الى دمشق، وقد اقضى ذلك مضاجع الكوفيين بعد ان سبق السيف العذل، فكانوا اصحاب الدولة واذا ببلدتهم الآن تتدنى فتصبح مجرد مصر من الامصار. وفي الوقت الذي كانت فيه قوة الخليفة تضعف

---

(١) الخوارج والشيع، ص٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢ (القاهرة، لا.ت.) ص٢٨١.

(٣) الامامة والسياسة، ج١ (القاهرة، لا.ت.) ص١٢٢.

رويداً رويداً بسبب الثورات الداخلية كثورة الخوارج وغيرها، أخذت قوة معاوية تنمو حتى اذا ما استشهد الخليفة علي عليه السلام بيد احد الخوارج تمت الغلبة لمعاوية وبهذا انطوى عهد الخلفاء الراشدين وبدأ عهد الامويين الذي قلما طبقت فيه العدالة والمثل التي تضمنتها مبادئ الاسلام.

ويوضح لنا الدوري طبيعة النزاع بين علي ومعاوية بقوله ان الصدام «بين علي ومعاوية كان صداماً بين ممثلي تيارين، ممثل التيار الاسلامي يسير على سياسة اسلامية وفي وسط قبلي فيصطدم بظروفه وبخصمه في آن واحد. وممثل التيار القبلي يسير على سياسة قبلية في وسط قبلي فلا غرابة ان انتصر معاوية فالظروف والاوضاع كانت مؤاتية له».

«وكان انتصار معاوية انتصاراً مطلقاً للتيار القبلي، وقد جاء الامويون على هذا الاساس، فكانت دولتهم نتيجة طبيعية لتطوير الاوضاع العامة في عصر الراشدين بدون ان يحصل انقطاع في التطوير التاريخي»[1].

---

(١) الدوري، عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، ص٧٣.

الفصل الرابع:

الحياة السياسية والفكرية في صدر الاسلام

توطئة:

اتخذ الرسولﷺ خلال السنوات العشر التي عاشها في المدينة تدابير كانت تستهدف وضع الاسس الرئيسية لكيان الامة الاسلامية، وتحقيق وحدتها الداخلية. وكان القرآن، وهو دستور الاسلام، منبع التشريع المدني والجزائي للدولة الجديدة. لذا أصبح الاتجاه الاسلامي يمثل قوة نامية، ويسيطر على معظم شؤون الحياة في المجتمع الجديد. واستطاع الرسولﷺ بعبقرتيه الفذة، وبتسديد من الله ان يضع الدستور المذكور موضع التنفيذ.

وكان نظام المؤاخاة المستند الى اساس ديني من اهم التدابير التي اتخذها الرسول في المدينة. واستهدف الرسولﷺ من وضع نظام المؤاخاة توثيق الروابط بين المهاجرين والانصار من جهة وحل الضائقة المالية للمهاجرين من جهة اخرى.

ثم عقد الصحيفة بين المهاجرين والانصار، وجعل اليهود طرفاً فيها وكانت الغاية منها تنظيم شؤون المجتمع المدني العسكرية والمدنية. وَوُصِفَ الرسولﷺ بالصحيفة بأنه المرجع الاعلى في المدينة، وانه رئيس الامة الاسلامية التي يتكون اعضاؤها من الافراد لا القبائل. وضرب الرسولﷺ بتأكيده على عضوية الفرد دون القبيلة نظام القبيلة الذي كان اساس الفوضى في بلاد العرب قبل الاسلام. واصبح الثأر من واجب الجماعة، أي الامة، لا من واجب الافراد كما كان فيما مضى. واستحالت عندئذ فكرة الثأر الى عقوبة مدنية.

حكومة الخلفاء الراشدين

كان الخليفة هو الرئيس الاعلى للحكومة، وكان يستنير بآراء كبار الصحابة في قضايا المجتمع المهمة. ففي عهد ابي بكر كان عمر مشيره الأول، وكان يستشير علي بن ابي طالبعليه السلام ومعاذ بن جبل في القضايا الفقهية. وعندما أراد عمر ان يتخذ حادثة بمثابة بداية للتاريخ الاسلامي أشار عليه عليعليه السلام باتخاذ هجرة الرسولﷺ للمدينة فأتخذها للغرض المذكور.

وكان الخليفة يختار بالانتخاب نظرياً على الاقل، وقد بقي اثر هذا المبدأ حتى في ايام الخلافة الوراثية وذلك بواسطة البيعة التي تعطى للخليفة عند توليه الحكم. وكان الخليفة نائب النبي والامين على الشريعة، كما انه قائد الجيوش الاعلى اي أمير المؤمنين. وللخليفة رئاسة الصلاة العامة.

اما فيما يتعلق بالضرائب فقد وضعت التشريعات الخاصة بالزكاة والغنيمة في عهد الرسولﷺ. وفي خلافة عمر وضعت اسس ضريبتي الجزية (ضريبة الرؤوس) والخراج (ضريبة الارض)، ولكن التفريق المذكور بين الضريبتين لم يصبح واضحاً الا في عهد متأخر. وقد انشأ عمر دواوين الجند بالعربية كما نقش هو وعثمان وعلي عبارات عربية على النقود الفارسية والبيزنطية. وجعل عمر الارض الزراعية في البلاد المفتوحة ملكاً للامة الإسلامية، ومنع بيعها رغبة في حماية سكانها الاصليين من تملك العرب الفاتحين لأرضهم من جهة، ولبقاء العرب امة مقاتلة ليكون بمقدورها حماية البلاد الاسلامية من جهة اخرى.

التعليم

لقد عدّ القرآن الكريم، شأنه في ذلك شأن الكتب المقدسة الاخرى[1]، والتعليم من وظائف النبي ﷺ وعمله، اذ يقول «ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة..»[2].

ولم يكن التأكيد على اهمية التعليم والتعلم مقتصراً على القرآن الكريم بل وردت أحاديث عديدة تشيد بفضل العلماء وتجعل طلب العلم افضل من العبادة. فقال الرسول ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبادة»[3]. كما قال: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء مع دم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء»[4]. وقال ﷺ لعلي عليه السلام: «لان يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من ان يكون لك حمر النعم»[5]. وقال ﷺ: «العالم والمتعلم شريكان في الاجر ولا خير في سائر الناس»[6]. وقال الامام علي عليه السلام: «ما اخذ الله العهد على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ العهد على اهل العلم ان يعملوا»[7].

---

(١) ورد في انجيل مرقص (١: ٢١) ان المسيح عليه السلام «دخل المجمع في السبت وصار يعلم» وجاء في انجيل لوقا (٢: ٤٨) ان المسيح لما غاب عن يوسف ومريم «وجداه في الهيكل جالساً في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم وكل الذين سمعوا بهتوا من فهمه واجوبته».

(٢) البقرة: اية ١٢٨.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٢ القاهرة، ١٩٣٨، ص١٨٨.

(٤) السهمي، تاريخ جرجان، حيدر آباد، ١٩٥٠، ص٥٢.

(٥) الشهيد، منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، النجف، ١٣٦٩، ص١١.

(٦) الشهيد، م.ن، ص١٣.

(٧) الماوردي، ادب الدين والدنيا، القاهرة، ١٣١٨، ص١٢.

وقال النبيﷺ: «من حق الولد على والده ثلاثة يحسن اسمه ويعلمه الكتاب..»[١أ].

ولست هنا بصدد مناقشة الاحاديث المذكورة من حيث الصحة او الوضع، لكن هذا لا يمنع من ان اشير الى ان بعضها يعود لعصور متأخرة. وسواء أكانت هذه الاحاديث كلها صحيحة او ان بعضها موضوعة، فأنها تمثل وجهة نظر الاتقياء والمحدثين المسلمين عما يجب بذله من العناية والاهتمام في ناحية مهمة من نواحي حياة الامة الثقافية الا وهي التعليم وضرورة العناية به. يضاف الى ذلك ان اعتقاد هؤلاء الاتقياء بأن النبي محمدﷺ بعث «على فترة من الرسل وقلة من العلم»[٢ب] جعلهم يرون ان نشر تعاليم الدين الجديد وهداية الناس الى معرفة ربهم وامور دينهم من الامور التي تكسب المرء رضا ربه.

وقبل ان اورد تفصيلات عن التعليم في عهد الرسول والراشدين اود ان ابدي بعض الملاحظات عن النصوص التي ذكرتها أعلاه:

اولاً: ان عبارة «العلم» الواردة في نص الطبري السابق لا تعني فقدان المعرفة او قلتها بصورة عامة بل تعني قلة المعرفة بالدين وخاصة نكران وحدانية الله عز وجل. ولذا لا يمكن ان تحمل هذه العبارة على انها تعني ظهور الاسلام في محيط اهله غير متعلمين، لان الكتابة كانت شائعة في الحجاز عند ظهور الاسلام، ولان جماعة من اهل العلم كانت تسكن في مكة وان ابا طالب شاورهم عند ظهور النبيﷺ فيها[٣]. وبالرغم من ذلك فان الدعوة الجديدة كانت بمثابة حافز على التعليم والتعلم وانها ساعدت على توسيع حلقة المشتغلين بالعلم. والواقع ان الدين الجديد هيأ جواً احدث ثورة في عالم الثقافة في الحجاز وخاصة فيما يخص تعليم القرآن وتعلمه كما وضعت في هذا العصر بذور علم الحديث التي اينعت في العصور الاسلامية التالية

(١أ) الطبرسي، مكارم الاخلاق، القاهرة، ١٣١١، ص٧٤.

(٢ب) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، القاهرة، ١٩٣٨، ص١١٥.

(٣) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، النجف، ١٣٥٨، ص١١.

ونتج عنها علم من اجل العلوم الاسلامية وهو علم الحديث.

ثانياً: ان الحديث النبوي الذي جعل تعلم الكتابة حقا من حقوق الولد على والده يعدّ من النصوص المهمة التي تشير الى اهتمام الدعوة الجديدة في التعليم لا بمظهره الديني فحسب، بل بمظهره الزمني إذ ان تعلم الكتابة لا يمكن ان يكون غرضه معرفة الله ومعرفة نواهيه وأوامره فقط بل يمكن ان يخدم الانسان في دنياه وآخرته على السواء. يضاف الى ذلك ان صيغة الحديث التي جعلت تعليم الكتابة حقاً توحي بأن هذا التعليم يرتقي الى مصاف الامور المفروضة على الاب تجاه ربه وولده وليس من الامور المستحبة التي ينقصها عنصر الالزام.

وبعد ايراد الملاحظات العامة السابقة نقول ان الرسول ﷺ قد اظهر في عهد مبكر اهتماماً خاصاً في التعليم وعدّه وسيلة من الوسائل الضرورية لنجاح الدعوة الجديدة، وعنصراً من العناصر المكونة لها. فأرسل مصعب بن عمير مع من بايعه بالعقبة الاولى «وامره ان يقرئهم القرآن، ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقريء في المدينة»(١).

وبعد ان انتصر المسلمون في معركة بدر جعلوا فداء الموسر من الاسرى اربعين وقية من فضة(٢). ويساوي هذا المبلغ «٤٠٠٠» درهم(٣) وطلب النبي ﷺ ممن يعجز عن دفع الفداء من الاسرى ان يعلم عشرة من اولاد المسلمين القراءة والكتابة. ويظهر من هذا الاستبدال ان المجتمع الاسلامي في المدينة كان مستعداً لقبول تعلم ولد من اولاده مقابل التنازل عن (٤٠٠) درهم. واذا علمنا ان المسلمين في اول عهدهم في المدينة كانت فيهم حاجة الى المال، نقدر مدى استعدادهم للبذل في سبيل التعليم.

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٢ القاهرة، ١٩٣٦، ص٧٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ليدن، ١٣٢٢، ص١٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والموك، ج٢، القاهرة، ١٩٣٨، ص١٦١.

ويبدو ان الرغبة في التعليم و التعلم كانت ترافق الدعوة الاسلامية الى الاسلام في كثير من الاحيان. وهناك امثلة كثيرة تؤيد ذلك. فبعد ان انصرف الرسولﷺ من معركة احد جاءه وفد من احدى القبائل «فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاماً وخيراً فأبعث معنا نفراً من اصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام فبعث رسول اللهﷺ معهم نفراً...»[1].

«وطلب النبيﷺ من معاذ بن جبل ان يبقى في مكة بعد فتحها لكي يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن»[2]. وعندما بعث النبيﷺ خالد بن الوليد الى اهل نجران ليدعوهم الى الاسلام قال له «اقم فيهم وعلمهم كتاب الله وسنة نبيه ومعالم الإسلام»[3].

وبعد ان عاد وفد بني الحارث ارسل الرسول أحد بني النجار «ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام»[4]. وجاء جماعة للرسولﷺ فبعث معهم عباد بن بشر وطلب منه ان «يعلمهم شرائع الاسلام ويقرئهم القرآن»[5]. وقد حث الرسولﷺ المسلمين على التعلم وشجعهم على التعليم فقال «من يرد الله به خيراً يفقهه بالدين، وانما العلم بالتعلم»[6].

وروى مالك بن الحويرث ان النبيﷺ قال لأصحابه «ارجعوا الى اهليكم فعلموهم»[7]. ولم يكتف النبيﷺ بحث المسلمين على التعلم والتعليم بل كان يمارس

(١) الطبري، م.ن، ج٢، ص٣١٣- ١٤.

(٢) الطبري: ٢: ٣٦٢.

(٣) الطبري: ٢: ٣٨٥.

(٤) الطبري: ٢: ٣٨٧.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص١١٦.

(٦) ابن حجر، العسقلاني، شرح البخاري، ج١، القاهرة، ١٣١٩، ص١١٨.

(٧) ابن حجر، م.ن، ج١، ص١٣٣.

التعليم عن طريق العمل. فمرة جاء رجل يسأل رسول الله ﷺ عن دينه فأتى النبي «بكرسي فقعد عليه فجعل يعلمه...»(١).

وقال عبد الله بن مسعود لأصحابه في الكوفة اني «قرأت من لسان رسول الله ﷺ سبعين سورة...»(٢). وقد روى الطبري عن احدهم انه قال: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا انهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ فكانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً»(٣). وقال عبد الله بن عباس «كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن»(٤). وقال ابي بن كعب: «رجعت الى المسجد فسمعت رجلاً يقرأ، فقلت من أقرأك قال رسول الله ﷺ»(٥).

ولم يقتصر تعليم الرسول على الرجال من المسلمين بل كان يخصص بعض اوقاته لتعليم النساء. وفي مرة قال النساء للنبي ﷺ «غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن»(٦). وقد اسهم عدد من الصحابة في تعليم المسلمين القرآن الكريم والحديث وغير ذلك. وكان من اشهر هؤلاء علي بن ابي طالب عليه السلام وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم رضى الله عنهم.

فأهل العراق مثلاً كانوا «يقرأون بقراءة ابن مسعود بينما اهل الشام يقرأون بقراءة

---

(١) ابن حجر، م. ن، ج١، ص٦ , ١.

(٢) الطبري، التفسير، ج١، القاهرة، ١٣٧٤، ص٢٨.

(٣) التفسير، ج ١، ص٨٠.

(٤) السهمي، ن.م، ص٢٨٩.

(٥) الطبري، التفسير، ج١، ص٣٢.

(٦) ابن حجر، ن. م، ج١، ص١٤١.

ابي بن كعب»[1]. وكان زيد بن ثابت يكتب العربية والعبرانية ويتولى المراسلة بين اليهود والرسولﷺ في المدينة[2]. ويظهر ان زيداً هذا كان ذا ثقافة علية فعهد اليه ابو بكر برئاسة اللجنة التي تولت جمع القرآن الكريم[3]. وعندما استعرض النبيﷺ بعض الصحابة من العلماء قال: «افرضهم زيد بن ثابت وأقرأهم ابي [بن كعب] واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل» ثم قال ان علياً أقضاهم[4].

اما الامام علي عليه السلام فقد اسهم بنصيب وافر في التعليم في هذه الفترة ويعود ذلك الى الاسباب الاتية:

اولاً- سعة اطلاع الامام علي عليه السلام وغزارة معرفته. وقال احدهم: «سمعت علياً عليه السلام يقول ان في صدري هذا لعلماً جماً علمنيه رسول اللهﷺ». وقال الرسولﷺ لعلي «ان الله أمرني ان اعلمك وان تعي»[5].

ثانياً- كان علي عليه السلام من اكثر الناس ملازمة للرسولﷺ ولذا تيسر له ان يتعلم منه كثيراً من أمور دينه ودنياه. ويروي الشافعي ان علياً كان حريصاً «على متابعة النبي والتعلم منه وكان رسول اللهﷺ... شديد الحرص على تربية علي والاشفاق في تعليمه وارشاده الى اكتساب الفضايل...»[6]. وقال انس بن مالك: «قيل يا رسول الله عمن نكتب العلم بعدك قال عن علي وسلمان...»[7].

ثالثاً- ان ابتعاد الامام علي عليه السلام عن السياسة طيلة حكم اسلافه من الخلفاء الراشدين

---

(١) الطبري، التفسير، ج١، ص٦٠.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، الطبعة الاوربية، ص٤٧٣-٤٠.

(٣) البخاري، الصحيح، ٦: ٩٥.

(٤) الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤال في مناقب آل الرسول، طهران، ١٢٧٨، ص١٣٠.

(٥) الشافعي، ن.م، ص٢٢.

(٦) الشافعي، ن. م، ص٢٦.

(٧) السهمي، حمزة بن يوسف، تأريخ جرجان، ص٢٤.

جعله يتفرغ للتعليم والارشاد. وكان علي قد وقف نفسه خلال هذه الفترة على طلب العلم[1]. وسنشير الى جهود الامام علي التعليمية في اماكنها من الصفحات التالية.

امكنة التعليم في هذا العهد:

اولاً- **الكتّاب:** يظهر ان الكتاب كان معروفاً في الحجاز قبل ظهور الرسالة النبوية الكريمة.

وقد وردت اشارة في البلاذري يستدل منها على وجود مؤسسات للتعليم الاولي في الحجاز قبل الاسلام، فيروي ان رجلاً أتى الى وادي القرى «فأقام بها وعلم الخط قوماً من أهلها»[2]. وقال أبو نضرة اسلم علي عليه السلام وهو ابن اربع عشرة سنة وكان له يومئذ ذوابة يختلف الى الكتاب»[3]. وعندما احتاجت ام سليم الى احد يعاونها في نفش الصوف أرسلت الى معلم الكتاب تقول له: «ابعث لي غلماناً ينفشون صوفاً ولا تبعث الي حّراً»[4] وفي خلافة عثمان «جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك الى المعلمين...»[5]. وروى ابن عبد ربه ان عبد الله بن صفوان لام عبد الله بن جعفر بن ابي طالب على حضور الملاهي، فقال له عبد الله بن جعفر: «وانت يا صفوان صرت حجة لصبياننا علينا، اذا لمناهم في ترك المكتب...»[6].

---

(١) علي، السيد أمير، مختصر تأريخ العرب، بيروت، ١٩٦١، ص٥٦.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٠١، ص٤٧٧.

(٣) المفيد، الفصول المختارة، من العيون والمحاسن، ج٢، النجف، ص٦٦.

(٤) البخاري، الصحيح، ج٤، القاهرة، ١٩٣٢، ص١٣١.

(٥) الطبري، التفسير، ج١، ص٦٢.

(٦) العقد الفريد، ج٢، القاهرة، ١٢٩٣، ص١٥٢.

ويظهر من هذه الامثلة ان الكتاتيب كانت موجودة في الحجاز قبل الاسلام. وبعد ظهور الدعوة الاسلامية استمرت هذه الكتاتيب في عملها كما ازداد عددها وتنوعت مواد مناهجها بوجود القرآن والاحاديث النبوية الشريفة وغيرها من مستلزمات الدين الجديد ومتطلبات الدولة الجديدة وخاصة تهيئة كتّاب لديوان الجند الذي انشأه عمر في المدينة. ويعتقد الاستاذ جبرائيل جبور ان الكتاتيب انتشرت ليس في المدينة في اواخر عصر الراشدين وحسب بل في معظم حواضر الحجاز[1]. ويظهر ان بعض الكتاتيب المذكورة كانت بقايا لمؤسسات التعليم الاولية بما فيها اليهودية، في مكة ويثرب وما جاورهما. وتنطبق هذه القاعدة على معظم المؤسسات الثقافية في كثير من العصور والامكنة وذلك ان المؤسسات القديمة تحور مناهجها وطرق تدريسها لتسد حاجات العصر الجديد، او انها تبقى بجانب المؤسسات الجديدة ان وجدت ضرورة لبقائها. ويظهر ان مؤسسات التعليم اليهودية قد اندثرت في الحجاز في هذا العصر كلية وذلك لأسباب منها ان الرسولﷺ لم ينظر بعين الرضا للاهتمام في الكتب المنزلة غير القرآن. وفي مرة رأى النبيﷺ في يـد عمر ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب في وجهه[2]. يضاف الى ذلك ان اليهود هاجروا من المدينة بعد اندحارهم في حروبهم مع الرسولﷺ كما ان عمر بن الخطاب اجلى يهود وادي القرى ونصارى نجران من بلاد العرب واستند في اجرائه هذا على حديث قيل ان الرسولﷺ قال فيه «لا يبقى دينان في ارض العرب»[3].

ثانياً- المسجد: كان التعليم، وخاصة التعليم العالي منه من الفعاليات التي تتم في المسجد خلال هذا الدور. وفي عصور متأخرة اقتصر المسجد على التعليم العالي دون الاولي. وبعد ان تأسست المدارس في القرنين الرابع والخامس للهجرة اخذ دور المسجد

---

(١) عصر ابن ابي ربيعة، ج١، بيروت، ١٩٣٠، ص١٣٠.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، القاهرة، ١٩٣.، ص٣٦٦.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٤، ٦٦.

يتضاءل حتى في التعليم العالي وذلك لأسباب لها علاقة في مناهج وطرق التدريس وغير ذلك من امور ذات صلة في التعليم لا مجال لشرحها في هذا المقال.

كان الرسولﷺ يعلم اصحابه القرآن والحديث في مسجده بالمدينة. قال ابي بن كعب: «رحت الى المسجد فسمعت رجلا يقرأ، فقلت من أقرأك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم»[١] وعن ابي ايضا قال «كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة انكرتها عليه ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه فدخلنا جميعاً على رسول اللهﷺ...»[٢]. وخرج رسول اللهﷺ ذات يوم فرأى مجلسين احدهما يدعون الله والثاني يعلمون الناس فقال: «اما هؤلاء فيسألون الله تعالى فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلماً ثم عدل اليهم وجلس معهم[٣]... ».

ويظهر ان المسلمين كانوا يجتمعون حول الرسولﷺ على شكل حلقة في المسجد فيعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، ففي مرة جاء ثلاثة نفر الى المسجد فوقفوا على رسول الله «فأما احدهما فرأى فرجه في الحلقة فجلس فيها...»[٤].

اما المواضيع التي كان يعلمها الرسول اصحابه في المسجد فيظهر ان اهمها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. فقال عبد الله بن عباس: «كان رسول اللهﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن..»[٥]. وكان النبيﷺ «يبين المجمل ويميز الناسخ والمنسوخ ويعرفه أصحابه»[٦]. وروت عائشة ان عبد الله بن عمر «قد حمل عن النبيﷺ علماً

(١) الطبري، التفسير، ١: ٣٢.

(٢) الطبري، ن. م، ١: ٣٦.

(٣) الغزالي، احياء العلوم، ج١، القاهرة، ١٩٣٣، ص١٠.

(٤) البخاري، الصحيح، باب فضل العلم.

(٥) السهمي، تاريخ جرجان، ص٢٨٩.

(٦) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٦٨.

كثيراً...»[1]. وجعل النبيﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم[2]. ومسلمة على رواية اخرى.

ويظهر لي ان العلم الذي قصده الرسولﷺ في الحديث هو العلم الشرعي. ومن الادلة على ذلك ان الرسولﷺ دخل مرة في المسجد فوجد شخصاً يحدث الناس عن انساب العرب ووقايعها وايام الجاهلية والاشعار والعربية فقالﷺ: «ذاك علم لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه، وانما العلم ثلاثة: آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة وما خلاها فهو فضل...»[3] وقال علي بن موسى الرضاعليه السلام: «تعلموا العلم فان تعلمه حسنة ومدارسته تسبيح.. لأنه معالم الحلال والحرام...»[4] يضاف الى ذلك ان تفاسير معظم الفقهاء والمحدثين نوحي الى ان المقصود بكلمة «علم» الواردة في الحديث هو العلوم الشرعية أو بالأحرى المقدار الضروري منها لكل مسلم ومسلمة. فمسلم مثلاً قصد بـ «العلم» الحديث النبوي حين أفرد بصحيحه باباً خاصاً أسماه «باب التثبيت في الحديث وحكم كتابة العلم»[5] اما الغزالي فيروي ان رسول اللهﷺ «أراد بالعلم المعرف بالألف واللام في قولهﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم، علم العمل الذي هو

---

(١) مسلم، الصحيح، ج٢، ص٤٦٥.

(٢) ذكر الغزالي في الاحياء (ص١٢) تفصيلات وافية عن العلم وأقسامه كما بين اختلاف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم. وقال انهم اختلفوا فيه اكثر من عشرين فرقة، وان كل فريق يرى ان المقصود هو العلم الذي هو بصدده. فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد، وقال الفقهاء هو علم الفقه، وقال المفسرون والمحدثون علم الكتاب والسنة، وقال المتصوفة ان المراد به علم التصوف. وذكر المفيد (ص٢٦٥) في كتابه الموسوم بالارشاد المطبوع بطهران (١٣٧٧)، ان الامام الصادقعليه السلام قال: «وجدت كلام الناس كلهم في اربع، اولها ان تعرف ربك، والثاني ان تعرف ما صنع بك، والثالث ان تعرف ما أراد منك، والرابع ان تعرف ما يخرج عن دينك، وهذه الاقسام تحيط بالفروض من المعارف».

(٣) الكليني، ن. م، ص١٢.

(٤) الشهيد، زين الدين، منية المريد، النجف، ١٣٦٩ ص١٥.

(٥) صحيح مسلم، ج٢، ص.

مشهور الوجوب على المسلمين لا غير...»[1] وعندما يفسر المجلسي الحديث المذكور يقول: «ولا شك في وجوب طلب القدر الضروري من معرفة الله وصفاته وساير أصول الدين ومعرفة العبادات وشريطها والمناهي ولو بالأخذ عن عالم عينا والاشهر بين الاصحاب ان تحصيل ازيد من ذلك أما من الواجبات الكفائية أو من المستحبات»[2].

وبالرغم من ان التأكيد كان بالدرجة الاولى على معرفة ما هو ضروري من القرآن والسنة، وان معرفة هذا المقدار يعدّ من الفروض، فأن النبيﷺ والخلفاء الراشدين والفقهاء أولوا النواحي الاخرى من المعرفة كبير اهتمامهم فقد دعا الرسولﷺ مرة لمعاوية فقال: «اللهم علمه الكتاب والحساب»[3]. وقد ضاعف النبيﷺ الاجر لرجل «كان عنده امة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فاحسن تعليمها...» وقد توسع العسقلاني في تفسير الحديث سالف الذكر فجعله يشمل الحرائر ايضاً[4].

وكتب عمر بن الخطاب الى ساكني الامصار: «اما بعد فعلموا اولادكم العوم والفروسية. ورووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر»[5]. وقال الامام عليعليه السلام كانت الحكماء فيما مضى تقول يحسن بالإنسان ان يسعى الى «أبواب العلماء علم الذين يستفاد منهم علم الدين والدنيا»[6]. وقال الشافعي: العلم علمان علم الفقه للأديان وعلم الطب للابدان وما وراء ذلك بلغة مجلس[7]. اما المواد المستعملة في التعليم:

أ. اللوح: كان اللوح معروفاً عند العرب في العهد الجاهلي والدليل على ذلك ورود

(١) الاحياء، ص١٥.

(٢) بحار الانوار، ج١، ص٥٦.

(٣) الجاحظ، البيان والتبين، ج، ٢القاهرة، ١٩٣٢، ص١١٦.

(٤) ابن حجر، ن. م، ١٣٧:١.

(٥) الجاحظ، البيان والتبين، ج١، ص١٧٩.

(٦) القمين، الخصال، ج٢، طهران، ١٣٢٠، ص٤٨.

(٧) الزرنوجي، تعليم المتعلم، القاهرة، ١٩٣٥، ص٧.

ذكره في القرآن الكريم من جهة واستعماله للكتابة في عهد الرسولﷺ من جهة أخرى. وذكر الكليني ان علياًعليه السلام قال عندما جمع القرآن «هذا كتاب الله... وقد جمعته من اللوحين...»[1]. وقال سلم العلوي «رأيت ابان بن ابي عياش يكتب عند أنس بن مالك في سبورجه يعني الواحاً»[2].

ب. الرق: وقد ورد ذكره في القرآن الكريم: «والطور وكتاب مسطور في رق منشور»[3]. والرق هو الاديم او الادم وهو نوع من الجلد. وكان الامام علي بن ابي طالب يحتفظ بصحيفة كتب فيها احاديث عن النبيﷺ. ويجعل الكليني طول هذه الصحيفة سبعين ذراعاً. ويوجد مع هذه الصحيفة الجفر وهو وعاء من ادم[4]. وقال زيد بن ثابت في حديثه عن جمع القرآن: «فأمرني ابو بكر فكتبته في قطع الادم وكسر الاكتاف والعسب»[5]. ويظهر ان قطع الادم التي كانوا يكتبون عليها كانت على انواع ومن اهمها الخولاني. وفي مرة خطب مروان بن الحكم وذكر مكة واهلها وحرمتها فناداه رافع بن خديج فقال «مالي اسمعك ذكرت مكة واهلها وحرمتها ولم تذكر المدينة واهلها وحرمتها؟ وقد حرم رسول اللهﷺ ما بين لابتيها[6]. وذلك عندنا في أديم خولاني ان شئت أقرأ تكه»[7].

ج. الكرانيف والعسب[8]: يقول الطبري ان النبيﷺ قبض «ولم يكن القرآن جمع، وانما

---

(١) اصول الكافي، ص٤٥٣.

(٢) الخطيب، تقييد العلم، ص٧٢.

(٣) سورة الطور ١-٣.

(٤) الكافي، ص٨٥.

(٥) الطبري، التفسير، ١:٥٩.

(٦) يقول الفيروزيادي (القاموس، ١: ١٢٩) حرم النبيﷺ ما بين لابتي المدينة وهما حرتان تكتنفانها.

(٧) الخطيب، ن.م، ص٧٢.

(٨) الكرانيف جمع كرنافه وهي اصول السعف الغلاظ العراض التي اذا يبست صارت امثال الاكتاف.

كان في الكرانيف والعسب»[1].

د. الكتف: وكانت الاكتاف تشمل اكتاف الغنم والابل. روى الطبري ان رسول الله ﷺ قال قبيل وفاته «أئتوني باللوح والدواة أو بالكتف والدواة اكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده»[2].

هـ . القلم: وقد ورد ذكره في الشعر الجاهلي وفي القرآن الكريم. وفي هذا دليل على شيوعه في بلاد العرب قبل ظهور الاسلام وقال شاعر من قبيلة اياد:

قومي أياد لو انهم أمم أو لو أقاموا فتهزلالنعم

قوم لهم ساحة العراق ان ساروا جميعاً والقط والقلم[1]

وجاء ذكره في سورة القلم[4] ايضاً.

و. الدواة: وقد ورد ذكرها في سورة القلم حين فسر عبدالله بن عباس كلمة نون بالدواة[5]. كما وردت الدواة بالحديث الذي أوردناه قبل قليل.

ز. الصحف: ويظهر انها كانت بمثابة الكتاب، وقد وردت بالقرآن الكريم «واذا الصحف نشرت»[6]. وفسر ابن عباس الصحف الواردة في هذه الآية بأنها ديوان الحسنات والسيئات[7-أ]. وقد وردت الصحيفة بمعنى مجموعة من الاحاديث، فكان علي بن ابي طالب عليه السلام يحتفظ بصحيفة كما اسلفنا. ويقول الشيخ المفيد عن الصحيفة

(١) التفسير، ٦٣: ١.

(٢) التأريخ ٢: ٤٣٦.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج١ ، القاهرة، ١٩٣٧، ص٤٨.

(٤) القلم: آية ١.

(٥) الفيروزبادي، محمد بن يعقوب، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، القاهرة، ١٣٥٦هـ ص٤٥١.

(٦) التكوير: ٩ .

(٧-أ) الفيروزبادي، ن. م، ص٤٧٢.

المذكورة ان عمر بن ابان قال «سألت أبا عبد الله عليه السلام [يقصد الامام الصادق عليه السلام] عما يتحدث الناس انه دفع الى ام سلمة صحيفة مختومة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قبض ورث علي عليه السلام علمه وسلاحه وما هناك [يقصد ما في الصحيفة]...»[١-ب] وكذلك كان ابو بكر يحتفظ بمجموعة من الاحاديث ضمت خمسمائة حديث[٢].

اما فيما يخص الطلبة والمدرسين من حيث طرق التدريس، والسن، وأوقات الدوام، وما الى ذلك، فليس لدينا عنها معلومات كافية، على ما اعلم، تمكننا من استخلاص قواعد عامة في هذا الخصوص. ومع ذلك فان الاشارات التي سأوردها هنا قد تساعد القاريء على استخلاص فكرة عن حالة الطلبة والمدرسين في هذا الدور.

يظهر ان طريقة المحاضرة في التعليم العالي كانت هي الشائعة، كما ان الطريقة السقراطية كانت معروفة عندهم.

يقول الطبري ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر من مكة الى المدينة انتهى «الى النعيم أتاه بريده بن الحصيب فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الاسلام فأسلم.. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد علم ابن الحصيب ليلتئذ صوراً من سورة مريم وقدم بريده بعد ان مضت بدر وأحد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فتعلم بقيتها»[٣]. وكان علي عليه السلام اذا فرغ من الجهاد يتفرغ لتعليم الناس والقضاء بينهم[٤].

ويظهر ان الرسول كان يراعي قدرة الطلبة على التعلم فقال لاصحابه «يسروا ولا تعسروا...». وقد تجنب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعظ اصحابه في كل يوم لئلا يملوا. وعندما طلب احد تلاميذ عبدالله بن عمر انه يذكرهم كل يوم قال: «اما انه يمنعني من ذلك اني اكره ان

(١ - ب) الارشاد، ص٢٥٨.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، حدر آباد، ١٣٣٣هـ، ص٥.

(٣) التفسير، ج١، ص١٢١.

(٤) الدليمي، ارشاد القلوب، ج٢، بيروت، مجهول التأريخ، ص١٢.

املكم واني اتخولكم بالموعظة كما كان النبيﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا»[١]. وكان تلاميذ عبد الله بن مسعود ينتظرونه ليخرج اليهم ويذكرهم[٢]. ويقول مسروق: «كان عبد الله [بن مسعود] يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار»[٣].

وبعد ان زال خوف الرسولﷺ من اختلاط الحديث بالقرآن حث اصحابه على كتابة الحديث فقال: «قيدوا العلم بالكتاب»[٤]. ويقول الذهبي ان عبد الله بن عمرو بن العاص: «كتب عن النبيﷺ علماً كثيراً وكان يعترف له ابو هريرة بالإكثار من العلم وقال انه كان يكتب عن النبيﷺ وكنت لا اكتب»[٥].

وكان طبيعياً ان تكون اعمار الطلبة متفاوتة في هذا الدور تفاوتاً كبيراً إذ إن بعضهم دخل الاسلام في سن الشيخوخة كأبي بكر وعثمان وسلمان الفارسي وغيرهم. وكان بعضهم في سن الشباب كعبد الله بن عمرو العاص وغيرهم. ومع ذلك فقال عمر بن الخطاب «قد تعلم أصحاب النبيﷺ في كبر سنهم»[٦].

اما السلوك الذي يجب ان يسلكه الطالب تجاه استاذه فيظهر من وصية وجهها الامام عليعليه السلام الى طلبة العلم قال فيها «ان من حق العالم ان لا تكثر السؤال عليه ولا تسبقه في الجواب ولا تلح عليه اذا اعرض ولا تأخذ بثوبه اذا كسل ولا تشير اليه بيدك ولا تغمزه بعينك ولا تسارّه في مجلسه ولا تطلب عوراته وان لا تقول قال فلان خلاف قولك ولا تفش له سراً ولا تغتب عنده أحداً. وان تحفظ له شاهداً أو غايباً وان تعم القوم بالسلام وتخصه بالتحية وتجلس بين يديه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته ولا تمل من

(١) البخاري، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة.ص.

(٢) العسقلاني، ابن حجر، شرح البخاري، ج١، ص١٢٠.

(٣) الطبري، التفسير، ج١، ص٨١.

(٤) الجاحظ، ن.م، ج٤، صث٢٤.

(٥) تذكرة الحافظ، (حيدرآباد، ١٣٣٣)، ج١، ص٥.

(٦) العسقلاني، ن. م، ج١، ص١٢١.

طول صحبته فإنما هو مثل النخلة فانتظر متى يسقط عليك منها منفعة والقائم بمنزلة الصائم القائم المجاهد في سبيل الله. واذا مات العالم انثلم في الاسلام ثلمة لا تسد الى يوم القيامة وان طالب العلم ليشيعه الف ملك من مقربي السماء»(١).

اما السن التي يذهب فيه الولد الى الكتاب في هذا الدور فليست لدينا عنها معلومات وافية، على ما اعلم. ومع هذا فلدينا اشارات حول هذا الموضوع. روى الشيخ المفيد ان علياً عليه السلام كان يختلف الى الكتاب وعمره اربع عشرة سنة(٢). وكان لعبد الله بن عباس طفل يختلف الى الكتاب وله عشرة سنين(٣).

وللدكتور شلبي رأى عن الكتاتيب في هذا الدور يقول فيه ان هناك نوعين من الكتاتيب احدهما لتعليم القراءة والكتابة والثاني لتعليم القرآن الكريم ومبادئ الاسلام.

ويرى ان اسرى بدر الذميّن هم الذين اضطلعوا بمهنة تعليم القراءة والكتابة في النوع الاول من الكتاتيب. ويعزز شلبي رأيه هذا باعتقاده ان مهنته تعليم الكتابة مهنة محتقرة وان من تعلم الكتابة من المسلمين لا يجلس مجلس معلم القراءة والكتابة(٤). ويظهر ان هذا الرأي بعيد عن التدقيق للأسباب الآتية:

١. ان اضطلاع نفر من أسرى بدر بمهمة تعليم الخط كان مؤقتاً فليس من الصحيح ان تنسب لهم تعليم الخط لفترة طويلة وعلى مقياس واسع.

٢. كان معظم الذميين من اليهود الساكنين في المدينة وقد اجلي هؤلاء عنها بعد حروبهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم. كما ان اليهود والنصارى اجلوا من جزيرة العرب أو من الحجاز على الاقل في عهد عمر كما أسلفنا.

---

(١) القمي، الخصال، ج٢، ص٩٣.

(٢) الفصول المختارة، ج٢، ص٦٦.

(٣) ابن طاووس، فرج المهموم في معرفة علم النجوم، لنجف، ١٣٦٨، ص١١٠.

(٤) تاريخ التربية الاسلامية، بيروت، ١٩٥٤، ص٢٣.

٣. روى ان الرسول ﷺ قال للشفاء العدوية «الا تعلمين حفصه رقنة النملة كما علمتها الكتابة»[١]. ومن المعلوم ان تأييد الرسول ﷺ لعمل ما واستحسانه له يجعله سُنة ولا نعتقد ان المسلمين يعزفون عن تعليم الكتابة مع ورود سنة في استحسانه.

٤. لقد شاهد جابر الانصاري لوحاً في يد فاطمة عليها السلام. واللوح كما هو معلوم من أدوات تعليم الخط، وان معلم فاطمة كان من المسلمين.

٥. لقد وردت اشارة الى ان علي بن ابي طالب عليه السلام كان يعلّم عبد الله بن عباس الخط. وقد قال له معلماً إياه «يا عبد الله وسّع ما بين السطور واجمع بين الحروف وارع المناسبة في صورها واعط كل حرف حقها...»[٢].

٦. يظهر ان الدكتور شلبي قد تأثر برأيه سالف الذكر برأي جماعة من المستشرقين الذي يتلخص في ان اليهود هم الذين تولوا في الغالب التعليم الاولي في المدينة في الفترة موضوعة البحث. ومن الامور التي ساقوها كدليل على رأيهم السابق هو ورود كلمة ربّاني لتعني المعلم "Teacher" الذي يتولى تعليم الصبيان[٣]. ويظهر ان المسلمين لم يستعملوا كلمة ربّاني ليعنوا معلم الصبيان. فالامام علي عليه السلام قرن كلمة ربّاني بكلمة عالم حين قال عالم رباني[٤]. وقال ابن عباس: «كونوا ربّانيين فقهاء وعلماء...»[٥].

اما الجاحظ فقد عني بها الادباء[٦]. ومن المعلوم ان العلماء والفقهاء يعلمون الحديث والفقه، والادباء يعلمون الادب وغيره في المساجد ومجالس الادب، وكل هؤلاء لا يعلمون الخط في كتاتيب الصبيان.

---

(١) البلاذري، ن. م، ص٤٧٧.

(٢) الحسيني، جعفر، «القلم وما يسطرون» الغري، تشرين الاول، ١٩٤٣.

(٣) **Shorter Encyclopiedia of Islam، p . 300 . (90)**

(٤) اليعقوبي، التأريخ، ج٢، ص١٨٠.

(٥) العسقلان، ابن حجر، ن.م، ج١، ص١١٩.

(٦) البيان والتبين، ج١، ص٢٥٤.

ويمكننا ان نستنتج مما ذكرناه عن التعليم في عهد الرسولﷺ ما يأتي:

اولاً- يظهر ان مواضيع الدراسة في هذه الفترة وخاصة في جزيرة العرب هي مبادئ القرآن والحديث، وان العلم الذي جعله الرسولﷺ فريضة على كل مسلم ومسلمة، هو ما كان ضرورياً من القرآن والحديث لسد حاجة المسلم الاعتيادي من العبادة. وهذا امر طبيعي لان وظيفة الرسولﷺ وعلمه هما ارشاد الناس الى معرفة الله واتباع اوامره ونواهيه بالدرجة الاولى.

ثانياً- ان المجتمع الاسلامي الاول نشأ في بيئة ذات ثقافة غير معقدة لذا لم يواجه هذا المجتمع في عهده الاول حاجات ثقافية معقدة ولم يظهر هذه الحاجات الا في عصر متأخر وخاصة بعد ان احتك العرب المسلمون بالأمم المغلوبة ذات الثقافة الراقية في الهلال الخضيب ومصر.

ثالثاً- أخذت حاجات المجتمع الجديد تتعقد مع مرور الزمن نتيجة للتطورات الجديدة التي رافقت ظهور الاسلام وانتشاره بين جماعات كبيرة من الناس. فمعرفة القرآن كانت تتطلب من المؤمنين الجدد ان يعرفوا القراءة والكتابة و اللغة العربية، والاشتغال بمؤسسات الدولة يتطلب، بالإضافة الى ما سبق، إلماماً بسيطاً في الحساب والنظم الادارية وغير ذلك من متطلبات العهد الجديد الذي أخذ يستقبل دوراً حضارياً أكثر تعقيداً من الدور الذي سبقه. ودخول العرب المسلمين الى بلدان الشرق الاوسط، ذات الحضارات العريقة، كان محفزاً لهم لأن يجلسوا مجلس التلميذ لاقتباس ما كانوا يجهلونه من علوم وفنون. يضاف الى ذلك انهم جلسوا مجلس الاساتذة ليعلموا سكان هذه البلدان، ما جهلوه من آمور الدين الجديد واللغة الجديدة ونظم وعادات الدولة الجديدة الذين أصبحوا، بحكم دخول بلادهم في حوزتها، مواطنين فيها. وقد مهدت هذه التطورات جميعها لخلق حركة ثقافية نمت فيها بعد ونشأت عنها الثقافة الاسلامية العربية التي أصبحت من أهم الثقافات العالمية في العصور التالية.

الفصل الخامس:

معاوية وبنوه

توطئة:

لقد مرت مهزلة التحكيم من دون ان تحل المشكلة التي ثارت الحرب من اجلها، وبعد ان استشهد الخليفة الشرعي سنة ٤٠هـ بايع اهل الكوفة وما جاورها الحسن بن علي، ولكن معاوية لم يمهل الخليفة الجديد فهاجم العراق واضطر الحسن ان يدخل حرباً لم يكن مستعداً لها. وحالما اقتربت جيوش معاوية من العراق ظهرت بوادر العصيان في جيش الحسن. وعندما شعر الحسن بضعف جيوشه، وقلة اخلاصهم لقضيته مال الى مصالحة معاوية. وعقدت اتفاقية بين الطرفين التزم فيها معاوية ان يعمل بكتاب الله وسنة رسوله، وان الخلافة له ما دام حياً، وأن يكون الناس آمنين حيث كانوا من أرض الله، والاّ يوليّ احداً بعده.

وحالما تم النصر لمعاوية شعر العراقيون بخيبة أمل شديدة، وأدركوا خطأهم لتقاعسهم عن نصرة العلويين، وظهر لهم إن انتصار معاوية يعني انتصار أهل الشام على أهل العراق، وانهم أصبحوا مجرد اتباع للأمويين في الشام، وأن بلادهم أصبحت مجرد ولاية تابعة لدمشق بعد ان كانت مركزاً للخلافة.

معاوية

بويع معاوية سنة ٤٠ هـ. وأهتم معاوية بتهدئة الامور الداخلية فزار الكوفة، ثم عمل على تصفية الخصوم مرة بالوعد واخر بالوعيد وثالثة بالسم، حتى استتبت له الامور. وأول عمل قام به الخليفة معاوية أنه نقل مركز الخلافة من الكوفة الى دمشق. وأظهر معاوية براعة خاصة في سياسته مع بني امية فأبعدهم، الا فيما ندر، عن الحكم ولم يسمح لهم بالخروج من دمشق الا في الحالات الاضطرارية. ولم تكن صلات معاوية حسنة بآل بيت الرسولﷺ وبطائفة من آل الصحابة والانصار ايضاً[١].

عماله:

كان كبار ولاة معاوية من غير الامويين، بل هم لم يكونوا من قريش، إذا استثنينا واحداً منهم. وكان معاوية قادراً على معرفة من يصلح لخدمته ويستطيع التعاون معه. وكان زياد بن ابيه من اشهر ولاة معاوية واقدرهم. وألحقه معاوية بنسبه بالرغم من مخالفة ذلك الاجراء لقواعد الاسلام[٢].

وعهد معاوية لزياد بولاية البصرة ثم ضم اليه الكوفة فيما بعد. وعمل زياد على تهدئة الاوضاع بالكوفة، وكلفه ذلك مقتل عدد من زعماء شيعة علي وعلى رأسهم حجر بن عدي الذي امر الخليفة معاوية بقتله مع عدد من اصحابه بناءً على اقتراح زياد واليه على الكوفة. «واشتد غضب الشيعة خصوصاً لقتل حجر. وكان استشهاده مقدمة لاستشهاد السبط الشهيد، الا وهو الحسين بن عليعليهما السلام»[٣].

(١) فلهاوزن، المصدر السابق، ص١٣١.

(٢) المسعودي، مروج ، ج٢، ص٣١٠- ١١.

(٣) فلهاوزن، الخوارج والشيعة، ص١٥٩.

وكان لسياسة الشدة التي اتبعها زياد ضد شيعة علي عليه السلام في العراق اثر في تكتلهم من جهة، وازدياد النقمة على حكم بني امية من جهة اخرى.

وقام زياد بإصلاحات واجراءات ادارية منها اصلاح مسجد الكوفة وذلك حين أمر بإلقاء الحصى في مسجدي الكوفة والبصرة. يقول البلاذري «ان الناس كانوا يصلون فإذا رفعوا ايديهم وقد تربت نفضوها فقال زياد: ما أخوفني ان يظن الناس على غابر الايام ان نفض الايدي سنة في الصلاة فزاد المسجد ووسعه، وامر بالحصى فجمع والقي في صحن المسجد»[1].

وقسم زياد جند الشرطة في الكوفة أربعة أقسام، في كل قسم منها تتمثل القبائل المختلفة، من غير ان يكون على رأسهم رئيس القبيلة، بل رئيس تعينه الحكومة. اما في تقسيم جند البصرة تقسيماً مماثلاً الى خمسة اقسام، فقد كانت الصبغة القبلية اكثر ظهوراً. ويعدّ الاجراء المذكور من الامور التي اضعفت سلطة رؤساء القبائل.

ونقل زياد خمسين الفاً من أهل الكوفة والبصرة بعيالاتهم الى خراسان واسكنهم فيما وراء النهر. ومن المحتمل ان زياداً أراد من حركته المذكورة ان يشجع عوامل التعريب في خراسان. أو ابعاد القبائل التي يخاف منها.

وكان المغيرة بن شعبة من بين ولاة معاوية على الكوفة. وكان المغيرة متهماً في خلقه متساهلاً في ادارته، ولكن اخلاصه لوظيفته جعل معاوية يبقيه في الولاية لفترة طويلة. اما قصة مشورة المغيرة لمعاوية بشأن تولية يزيد العهد فهي ضعيفة لان قضية حصر الحكم في بني امية كانت من أركان سياسة معاوية ولا يمكن ان تكون فكرة طارئة اوحاها المغيرة لمعاوية، لكنها وافقت هواه وكان بحاجة الى استمالة الزعماء لها.

اما علاقة معاوية بعمرو بن العاص فقد كانت اعمق واقوى من العلاقة بين خليفة

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٦.

وامير. وكان عمرو يشعر بأنه صاحب حق في ولاية مصر نظراً للخدمات الجليلة التي اسداها لمعاوية خلال نزاعه مع علي عليه السلام. ويظهر من الروايات ان الثقة كانت معدومة بين الاثنين وكان احدهما يخشى الاخر[1]، ولكن المصالح المشتركة جعلتهما يعملان سوية لاسترجاع سلطة قريش وزعامة بني امية التي فقدت نتيجة لظهور الاسلام.

استئناف الحرب بين المسلمين والروم

لقد استطاع المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين ان يحتلوا ولايات مهمة من املاك الامبراطورية البيزنطية. وعند قيام الحرب الاهلية بين الخليفة الرابع ومعاوية صالح الاخير امبراطور الروم على مقدار من المال يدفعه له سنوياً. وامتنع معاوية عن دفع المال واستعد لحرب الروم بعد ان استقرت له الامور في الداخل.

وفي سنة ٦٦٣م استأنف العرب هجومهم في آسيا الصغرى في عهد الامبراطور قسطنطين الرابع، واستمروا في مهاجمة الامبراطورية الرومانية في كل سنة خلال الـ(١٥) سنة التي تلت ذلك التاريخ.

وفي سنة ٦٧٤م حاصر المسلمون القسطنطينية واستمروا في مهاجمتهم خلال السنوات التالية، ولكن جهودهم لم تفلح في فتح المدينة المذكورة. وكانت أسباب فشلهم تعود الى:

أولاً- قوة اسوار القسطنطينية، ووجود المآصر عند مدخل القرن الذهبي وكانت تلك المآصر تعيق مرور السفن الى داخل الخليج.

ثانياً- وجود النار الاغريقية التي اخترعها مهندس من أصل سوري، وهي عبارة عن مواد قابلة للاشتعال كان يرميها الروم على سفن المسلمين فتحرق تلك السفن وتعيق سير الهجوم.

(١) المسعودي، ج٢، ص٢٨٠.

ثالثاً- وجود جماعة من الاباطرة الاقوياء امثال قسطنطين الرابع. وعمل اولئك الاباطرة على تهيئة وسائل الدفاع عن امبراطوريتهم.

رابعاً- ادخال نظام المقاطعات التي تدار بواسطة حاكم يتمتع بالسلطتين المدنية والعسكرية، وهو ما يعرف بـ «**Themes**». ويساعد النظام المذكور على سهولة الدفاع واتخاذ تدابير ادارية وعسكرية سريعة لحماية البلاد من هجمات العرب.

وكان لنجاح اباطرة البيزنطيين في رد هجوم المسلمين أيام معاوية أثر في تقوية مراكزهم في الداخل وفي رد هجمات اعدائهم في الغرب. ومع ذلك فقد اظهر معاوية حزماً كبيراً في حربه مع البيزنطيين، وكاد يفتح عاصمتهم. ويقول فلهاوزن: «حارب معاوية الروم طوال حكمه في البحر والبر بحماسة ومواظبة تفوق كل من خلفه»[1]. ولم يثن العرب فشلهم في فتح القسطنطينية خلال عهد معاوية عن تكرار هجماتهم عليها، فأرسلوا حملة مهمة بقيادة مسلمة بن عبد الملك كما سنرى فيما بعد.

وكانت الحرب سجالا بين الفريقين، وكانت تشتد وتضعف تبعاً للظروف الداخلية والخارجية لكل فريق من الفريقين.

ومن الجدير بالذكر ان العلاقات بين الروم والعرب ما كانت مقتصرة على الحروب فقط في الفترة موضوع البحث، بل كانت هناك علاقات حضارية مهمة بين الفريقين. وقد اهملت المصادر، في الغالب، التحدث عن العلاقات الحضارية بين الروم والعرب وركزت اهتمامها في النواحي السياسية. واقتبس الامويون من الحضارة البيزنطية طريقة بناء الطرق وادامتها، ونظام البريد، واقامة الابنية التي تمثل اهتمام الخلفاء بشؤون الدين امثال قبة الصخرة في القدس. يضاف الى ذلك ان نوعاً من الصلات التجارية كانت موجودة بين الروم والعرب في العهد الاموي، ولم تنقطع تلك الصلات رغم استمرار الحرب بين الفريقين المتجاورين.

---

(١) فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، ص١٠٧.

عهد يزيد بن معاوية

عهد معاوية بالخلافة لابنه يزيد. وقد واجهت معاوية صعوبات في محاولته لحصر الخلافة في عائلته منها:

١. **مخالفة التقاليد الاسلامية**: لم يعترف الاسلام بجعل الحكم ملكاً بشرياً يدعيه الانسان بحق الوراثة، وانما الحكم لله يتولاه افضل المسلمين. وقد برر الفقهاء الحكم الوراثي في الإسلام بوجود البيعة التي يتلقاها الحاكم عند توليه الحكم.

٢. **مخالفة التقاليد العربية**: تبيح التقاليد المذكورة انتقال الحكم في افراد القبيلة او في العشيرة، ولا تبيح انتقاله من الاب الى ابنه.

٣. **صفات يزيد الشخصية**: رأت الغالبية العظمى من المتدينين ان صفات يزيد الشخصية لا تؤهله للخلافة. ووجد معاوية صعوبة في حمل الطبقة المذكورة على مبايعة يزيد، واستعمل لذلك القوة تارة، والمال والدهاء السياسي تارة أخرى.

ووجد معاوية اشد الصعوبات في فرض بيعة يزيد على اهل الحجاز وخاصة اهل المدينة لان فيها بقية أولاد المهاجرين والانصار أمثال الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وغيرهم، وقد امتنع الحسين وابن الزبير عن البيعة ليزيد رغم تهديدات معاوية.

وبعد ان تولى يزيد الحكم أولى المدينة كبير اهتمامه وطلب من واليه هناك ان يهتم بأخذ البيعة من أهلها وخاصة من الحسين بن علي وابن الزبير.

فاجعة كربلاء

امتنع الحسين عن قبول بيعة يزيد وترك المدينة متوجهاً الى مكة، وقد وردته هناك كتب من اهل العراق جاء في احداها: « بسم الله... للحسين بن علي من شيعته في العراق... اما بعد... فأن الناس ينتظرونك لا امام لهم غيرك...» فما كان من الحسين الا ان وجه لهم مسلم بن عقيل ليمهد السبيل فوجد عدداً كبيراً من المؤيدين وبايعه اهل الكوفة وعندما أراد مهاجمة عبيد الله بن زياد عامل يزيد هناك تركوه وحيداً فقتل.

وبعد برهة قصيرة وصل الحسين الى العراق مع عدد قليل من آل بيته وصحبه فالتقى بجيش الحكومة بقيادة عمر بن سعد في كربلاء، وكانت النتيجة ان استشهد الحسين ومن معه في العاشر من المحرم سنة ٦١هـ (١٠ تشرين الأول ٦٨٦م). واستعملت السلطات الاموية أنواع القسوة مع الثائرين.

وبالرغم من القضاء على ثورة الحسينعليه السلام عسكرياً فأن لاستشهاده، كما يقول فلهاوزن معنى كبيراً في مثاليته، واثراً بالغاً في الشيعة[١]. ويقول حتي وفلهاوزن ايضاً ان لمقتل الحسين اثراً كبيراً في استدرار عطف كثير من المسلمين على آل البيت مما اكسب الشيعة قوة لا يستهان بها.

ويقول امير علي على ان مذبحة كربلاء روعت العالم الإسلامي بأسره[٢].

---

(١) الدولة العربية وسقوطها، ص ١٤٤.

(٢) مختصر تاريخ العرب، ص ٩٣.

موقعة الحرة

نقم اهل المدينة على سياسة يزيد فثاروا عليه، فارسل لهم جيشاً قوياً قضى على مقاومتهم في معركة تعرف بمعركة الحرة. وقتل في المعركة كثير من أبناء المهاجرين والانصار. ويقول ابن قتيبة ان عدداً كبيراً من اهل المدينة قد قتل. ونهبت المدينة ثلاثة أيام «وفضحت النساء ونهبت الأموال»[1].

يزيد وعبد الله بن الزبير

لقد كان ابن الزبير يطمع في الخلافة، وقوي مركزه بعد مقتل الحسين لان ابن الزبير لا يتمتع بالمؤهلات التي يتمتع بها الحسين، يضاف الى ذلك ان فاجعة كربلاء اضرت بسمعة الامويين وجعلت كثيراً من المسلمين ينتقدون حكمهم. ومال كثير من الناس لابن الزبير ورأوا انه جدير بالخلافة[2].

ولم يظهر ابن الزبير عصيانه في اول الامر، واحتمى في مكة لاعتقاده ان قدسية مكة تحميه من سيوف بني امية . واظهر ابن الزبير، لأسباب سياسية، اسفه واستنكاره لمقتل الحسين.

وكان مروان بن الحكم يعمل على افساد العلاقة بين ابن الزبير ويزيد رغبة في التخلص من الاثنين معاً.

وحصلت مفاوضات بين ابن الزبير ويزيد ولكنها لم تسفر عن نتيجة، فحاصرت

(١) ابن قتيبة (المنسوب) المصدر السابق، ج١، ص ٩.

(٢) فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، ص ١٤٥.

جيوش الحكومة مدينة مكة. وبعد فترة من حصار ابن الزبير في مكة توفي يزيد فبايع اهل الشام ابنه معاوية الذي لم يلبث ان تنازل عن الحكم. وقد فاوض الحصين بن نمير، قائد جيش يزيد، ابن الزبير، وعرض عليه البيعة بالخلافة على ان يذهب معه الى الشام، فرفض ابن الزبير الطلب المذكور، وكان مصيباً في رفضه لان أنصاره في الشام كانوا ضعفاء ولا يمكن ان يجازف في الذهاب اليها. ومع ذلك فان ابن الزبير اخطأ بتركه مهاجمة الشام، وبذا مكن الامويين بزعامة مروان وعبد الملك من استجماع قواهم والقضاء على أخيه مصعب في العراق ثم القضاء على عبد الله بن الزبير نفسه في مكة.

ومن الجدير بالذكر ان ابن الزبير لم يسهم اسهاماً فعالاً في الصراع الذي جرى في العالم الإسلامي بعد وفاة يزيد. فهو لم يشترك شخصياً في المعارك المهمة وترك ذلك لأخيه مصعب الذي كان يدير العراق بصورة شبه مستقلة عن أخيه عبد الله الذي بقي قابعاً في مكة.

وبالرغم من ذلك فأن عبد الله بن الزبير حاول ان يعيد أهمية الحجاز السياسية والاقتصادية التي فقدها بعد مقتل عثمان، ولكن نجاحه في هذا المضمار كان محدوداً.

حركات الخوارج والشيعة:

أ. الخوارج

نقم جماعة من جيش علي عليه السلام عليه لأنه قبل التحكيم بعد معركة صفين، وسمي هؤلاء فيما بعد بالخوارج، وثار الخوارج على علي فقاتلهم وهزمهم في معركة تعرف بالنهروان. واستأنف الخوارج ثوراتهم في عهود مختلفة خلال حكم الامويين. وعلينا ان نلاحظ نقطتين مهمتين عند بحثنا لحركات الخوارج:

١. عارض الخوارج عثمان وعلياً والامويين، ويعني ذلك انهم كانوا يعارضون النظام الاجتماعي القائم، ولا يعارضون فرداً أو عائلة معينة. وكان علي عليه السلام في نظرهم، ينتسب كعثمان الى ارستقراطية قريش، لذلك قادهم تفكيرهم البدوي الى انه يمثل سيطرة قريش على بقية القبائل العربية.

٢. يظهر ان ثورات جماعات الخوارج شبيهة بثورات جماعات البدو التي كانوا في الأصل ينتسبون اليها.

وقد تكيف مبدأ الخوارج فيما بعد وظهرت بينهم بعد سنة ٦٨١م جماعتان احداهما تميل الى الاعتدال، والأخرى بزعامة نافع بن الأزرق، متطرفة. وأباح المتطرفون خاصة لأنفسهم قتل من خالفهم من المسلمين، فقالوا ان المسلم الحقيقي هو الذي ينخرط في سلكهم، اما القاعدون فليسوا بمسلمين وللخوارج قتلهم واسترقاقهم.

ويبدو مما سبق ان الخوارج كونوا وحدة اجتماعية لا تختلف عن القبيلة من حيث الحجم والتكوين، كما انها تعيش على الغارة واخذ الاتاوة. وقد يؤكد ما سبق الفرضية القائلة بأن حركة الخوارج ماهي الا حركة انعاش للبداوة العربية. ومع ذلك فأن حركتهم تختلف عن حركة البداوة لان أساسها الدين لا القرابة. وقد ارتبط الازارقة بحرف القرآن، اما الاباضية والصفرية فقد استنكروا قتل المسلمين من غير الخوارج وقالوا بوجوب التقية في العقائد، وقالوا انهم لا يوجدون في دار السلام او العلانية حيث تطبق عقيدتهم، بل في دار الخوف لذا جازت التقية في العقائد.

ويمكننا ان نصف حركات الخوارج بأنها غير ناضجة وتكون محدودة بعكس حركات الشيعة التي كانت تستهدف الإطاحة بالسلطان الاموي.

ب. الشيعة:

ظهر جماعة من المسلمين في عهد النبيﷺ عرفوا بشيعة علي بن ابي طالبعليه السلام[1]. وعندما بويع علي بالخلافة انضم تحت لوائه شيعته وغيرهم من المسلمين، وبعد مقتل علي واستشهاد الحسينعليه السلام اكتسب التشيع قوة عظيمة، واصبح القائلون به من اشد المعارضين لحكم بني امية. ويعتقد الشيعة الذين عرفوا فيما بعد بالإمامية ان امامة الامة الإسلامية منحصرة في عليعليه السلام وفي سلسلة الائمة المعصومين من أبنائه من فاطمة بنت النبيﷺ. وظهر بين الشيعة من اجازوا ان تكون الامامة بعد الحسين الى أخيه محمد بن عليعليه السلام المعروف بابن الحنفية.وعرف هؤلاء بالكيسانية. ثم ظهرت جماعة من الشيعة قالت بإمامة زيد بن علي بن الحسين، وعرف هؤلاء بالزيدية . وقامت الجماعات الشيعية المذكورة خلال العهد الاموي بنشاط فكري وبثورات عسكرية[2] استهدفت الإطاحة بالحكم الاموي وارجاع الامامة الى أصحابها الشرعيين من آل عليعليه السلام.

ان الاستعراض الذي أوردته أعلاه تناول الفرق الشيعية التي كان لها وجود تاريخي خلال العهد الاموي. اما جماعة عبد الله بن سبأ او السبئية فإن وجودها التاريخي يكتنفه الغموض او بالأحرى انها غير موجودة بالرغم من ان بعض المؤرخين المحدثين تصوروا وجودها[3].

واميل الى ان عبد الله بن سبأ كانت شخصيته الى الخيال اقرب منها الى الحقيقة، وان دوره بولغ فيه الى درجة كبيرة لأسباب دينية وسياسية ذات علاقة بنزاع الشيعة مع خصومهم. ومن الأدلة على ضعف قصة ابن سبأ:

---

(١) النوبختي، فرق الشيعة (استانبول، ١٩٣١) ص ١٥.

(٢) ان اهم الثورات المذكورة حركة التوابين، وحركة المختار، وثورة زيد بن علي.

(٣) الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول (بغداد،١٩٤٥) ص ١٩.

أولاً- لم ترد القصة المذكورة في المصادر المهمة التي روت حوادث خلافة عثمان وقضية مقتله أمثال طبقات ابن سعد وانساب الاشراف للبلاذري.

ثانياً- لو عرضنا القصة للنقد لوجدناها حافلة بالتناقض والمبالغة خاصة فيما يخص تاريخ الحوادث التي احتوتها تللك القصة، وصعوبة امكان نسبة كثير من الآراء التي زعم ان ابن سبأ بشر بها، اليه. ونفى وجود ابن سبأ عدد من الكتاب المحدثين كان من بينهم طه حسين[1] ومرتضى العسكري الذي الف كتاباً في الموضوع اسماه «عبد الله بن سبأ»[2].

وعند الكلام عن ابن سبأ يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: «اما عبد الله بن سبأ الذي يلصقونه بالشيعة او يلصقون الشيعة به - فهذه كتب الشيعة بأجمعها نعلن بلعنه والبراءة منه...» ويتابع كاشف الغطاء قوله: «انه ليس من البعيد رأي القائل - ان عبد الله بن سبأ ومجنون بني عامر وبني هلال وامثال هؤلاء الرجال والابطال كلها احاديث خرافة وضعها القصاصون وارباب السمر والمجون...»[3].

---

(١) الفتنة الكبرى، ج ١، (القاهرة، ١٩٤٧).

(٢) عبد الله بن سبأ (القاهرة، ١٣٨١).

(٣) اصل الشيعة واصولها (بيروت، لا. ت) ص ٨٤.

الفصل السادس:

المروانيون الأول

عبد الملك بن مروان

تولى عبد الملك بن مروان الخلافة بعد وفاة ابيه الذي حكم لفترة قصيرة. وكان الاضطراب سائداً في مختلف الولايات الإسلامية عندما تولى عبد الملك الخلافة، لذا امضى الشطر الأول من حكمه في تهدئة الأحوال، فقضى على حركة الزبيريين، واخمد عصيان عمرو بن سعيد بن العاص في دمشق[١].

وهجم الروم على البلاد الإسلامية من الشمال مستغلين انشغال الخليفة في الحروب الداخلية، فاضطر عبد الملك لمصالحتهم، ودفع لهم مبالغ من المال. وبعد ان هدأت الأحوال في الشطر الثاني من خلافة عبد الملك، استأنف الخليفة الحرب ضدهم، وتمكن من هزيمة جوستنيان الثاني سنة ٧٢ هـ (٦٩٢م). ثم بدأت حكومة عبد الملك على توجيه حملات صغيرة او كبيرة عاماً بعد عام ضد الروم على غرار ما عمله معاوية الأول. ولئن لم تسفر تلك الحملات عن نتائج مهمة، فقد كانت على الأقل بمثابة مدرسة نافعة لعرب الشام و الجزيرة مكنتهم من المثابرة على تمرينهم العسكري.

---

(١) اليعقوبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٥.

بناء قبة الصخرة

ذهب بعض المؤرخين الى ان عبد الملك استهدف من بناء قبة الصخرة صرف المسلمين عن الحج الى بيت الله الحرام وذلك لان مكة كانت تحت حكم عبد الله بن الزبير في بداية حكم عبد الملك. ويبدو ان الرأي المذكور مشكوك في صحته لأنه من الصعب ان نقول بأن عبد الملك يجهل مكانة الكعبة الدينية بحكم كونها قبلة المسلمين وان صرفهم عنها لا يرضيهم. واعتقد ان اهتمام عبد الملك بقبة الصخرة يعود الى انها مكان مقدس عند المسلمين من جهة، وان عبد الملك أراد تقليد اباطرة الرومان في اهتمامهم بالأبنية الدينية، التي تجسد اهتمام الحكام بالدين عن طريق العناية بأمكنته، من جهة ثانية.

تعريب العملة:

لقد انتهج عبد الملك، مدفوعاً بشعور ديني وطني، سياسة تعريب مؤسسات الدولة ومن بينها العملة. روى اليعقوبي ان الدراهم والدنانير نقشت بالعربية في عهد عبد الملك بن مروان[1]. ويقول البلاذري «ان عبد الملك اول من ضرب الذهب عام الجماعة سنة اربع وسبعين...] و[وضرب الحجاج الدراهم آخر سنة خمس وسبعين ثم امر بضربها في جميع النواحي سنة ستة وسبعين»[2]. ويبدو ان عبد الملك لم يغير وزن النقود السابقة من رومانية وفارسية، وكل ما عمله هو كتابة نقوش عربية عليها، كما يبدو ان عبارة «ضرب» المستعملة برواية البلاذري السابقة لم تستعمل بمعناها الاصطلاحي الصحيح، وان عبارة «نقشت» الواردة برواية اليعقوبي السابقة أكثر تدقيقاً، وتؤيدها رواية ثانية للبلاذري تقول ان وهب بن كيسان «قال رأيت الدنانير والدراهم قبل أن ينقشها عبد

(١) اليعقوبي، ج ٣، ص ٢٦.

(٢) فتوح البلدان، ص ٤٥٣.

الملك ممسوحة وهي وزن الدنانير التي ضربها عبد الملك»[١].

ومن الجدير بالذكر ان جماعة من الخلفاء قبل عبد الملك ضربوا دراهم ودنانير ولكنهم ضربوها بالنقش الرومي والفارسي، ومن الأدلة على ذلك ان دراهم فضية إسلامية ضربت على طراز الدراهم الساسانية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وكانت تحمل اسم يزدجرد الثالث. كما ضربت دراهم في عهد الخليفة عثمان، وكانت تحمل اسم كسرى الثاني، ومثل ذلك حصل في عهد الامام علي اذ انه ضرب دراهم في البصرة تحمل اسم كسرى الثاني.

ونستنتج من كل ما سبق ان عبد الملك لم يوجد نظام عملة جديد بل كل ما عمله هو إضافة نقوش عربية إسلامية للعملة القديمة.

تعريب الدواوين:

كانت الحسابات الرسمية تعمل باليونانية في الشام وبالفارسية في الكوفة وقد تم نقل الدواوين في عهد عبد الملك الى العربية، وكانت غاية الخليفة من تلك العملية التحرر من الأثر الأجنبي وتعميم العربية في المؤسسات الإدارية والمالية للدولة. ومن الجدير بالذكر ان دواوين الجند وضعت بالعربية في الأصل فلم تتناولها عملية النقل المذكورة.

ان ما تم في عهد عبد الملك من تعريب للمؤسسات المذكورة ومن تنظيم للإدارة يعد من الاعمال المهمة في تاريخ التمدن الإسلامي. ويقول حسن إبراهيم حسن في هذا الصدد انه من الممكن ان نقول ان النظام الإداري والسياسي في عهد الدولة الاموية لم يكن من صنع معاوية بن ابي سفيان، بل ان عبد الملك بن مروان يعتبر المؤسس الحقيقي لهذا النظام؛ فقد صبغ الإدارة و المالية بالصبغة العربية[٢]. ويقول فلهاوزن، بعد ان يتكلم

---

(١) ايضاً، ص ٤٥٣.

(٢) النظم الإسلامية (القاهرة، ١٩٣٩) ص ٢٠٣.

عن تعريب الدواوين، «ويبدو للإنسان ان عبد الملك قد اقام الدولة من وجوه أخرى على قواعد جديدة، فأصبحت اداراتها فيما يظهر ذات طابع فني ومتدرج اكثر مما كانت عليه من قبل، وان لم تبلغ في ذلك الا درجة اقل بكثير مما بلغته إدارة الدولة العباسية»[1].

ولاة عبد الملك:

كان نصيب بني امية من السيادة في عهد عبد الملك، اوفر مما كان عليه في عهد اسلافه من الخلفاء الامويين. فاسند لهم في بداية حكمه خاصة ولايات مهمة، فولاية الجزيرة وارمينية رغم خطورتها لوقوعها على حدود الروم كانت تحت امرة محمد بن مروان. وكانت مصر وافريقية تحت حكم أخيه عبد العزيز بن مروان. وبالرغم من ذلك فأنه استعان بولاة قديرين من غير بني امية أمثال الحجاج بن يوسف وحسان بن النعمان والي افريقية.

وكان عبد الملك يعامل عماله بما فيهم الحجاج، معاملة شديدة تصل الى القسوة في بعض الأحيان.

الحجاج بن يوسف الثقفي:

ولى عبد الملك الحجاج بلاد العراق، ومنحهُ سلطات واسعة في ولايته. ذكر اليعقوبي ان عبد الملك كتب للحجاج كتاباً بخطه «اما بعد يا حجاج فقد وليتك العراقيين صدقة، فذا قدمت الكوفة فطأها وطأة يتضاءل منها أهل البصرة...»[2].

واستعمل الحجاج الشدة في ولايته، فطارد الخوارج مطاردة لا هوادة فيها وتمكن من هزيمة شبيب الشيباني، احد مشاهير قوادهم، سنة ٧٨هـ بعد معارك عديدة.

---

(١) الدولة العربية وسقوطها، ص ٢١٣.

(٢) التاريخ، ج ٣، ص ١٨.

واستمر الحجاج والياً على العراق لفترة طويلة في عهدي عبد الملك وابنه الوليد، ويعد الحجاج من الحكام المشهورين في التاريخ، واقترن اسمه بالقسوة.

وكانت مهمته في العراق شاقة للأسباب التالية:

اولاً- كان العراق من مراكز الخوارج المهمة، وكان هؤلاء في حالة ثورة مستمرة ضد الامويين، وبالرغم من الهزائم التي لحقت بهم استمروا في مضايقة الامويين طيلة حكم الحجاج والفترة التي تلته.

ثانياً- كان العراق مركز الشيعة وكان هؤلاء ناقمين على الحكم الاموي لأسباب دينية وسياسية، كما بينا سابقاً، وكانت معاملة الحجاج للشيعة قاسية مما زاد في تذمرهم وجعلهم يتحينون الفرص للثورة على الحكم الاموي.

ثالثاً- كان العراق خلال ذلك العهد ميداناً للتاريخ الإسلامي، وكان اهله يرون ان بلادهم احق بالخلافة من الشام لذا كانوا في اضطراب دائم كلف الامويين جهوداً كبيرة.

رابعاً- كان التحول الاجتماعي في العراق اسرع منه في سورية وافريقية، اذ اخذت التنظيمات القبلية فيه تضعف، والأفكار الدينية والمدنية تنضج بسرعة اكثر مما هي الحال في الشام، لذا كانت ادارته من الأمور الشاقة.

وقد عمد الحجاج لإشغال العراقيين بالفتوحات الخارجية حيث وصلت جيوش المسلمين في عهده الى قلب الهند وحدود الصين، ولكن ذلك لم يلههم عن نقد سياسة الامويين والثورة على حكمهم تحت قيادة ابن الاشعث وغيره فيما بعد.

حركة عبد الرحمن بن الاشعث:

كان ابن الاشعث عامل سجستان، وكان تحت امرته جيش قوامه عشرة الاف مقاتل، وقد اختلف مع الحجاج حول أمور ذات علاقة بالشؤون الإدارية والعسكرية لمنطقته. وتعقدت العلاقات بين الحجاج وابن الاشعث مما حدا بالاشعث ان يعلن الثورة على الحكم الاموي.

ويعد فلهاوزن ثورة ابن الاشعث بانها تمثل ثورة العراق على الامويين، وان تلك الثورة هزت الحكم الاموي وهددت مركز الخليفة نفسه.

ومما جعل للثورة أهمية كبرى ان عددا من الموالي كانوا قد انضموا اليها وايدوها، كما ان عددا من الاتقياء أمثال حسن البصري، والشعبي وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي قد ايدوها وانضموا اليها.

وقد ازداد قلق عبد الملك نتيجة لانتصار الثوار ففاوض العراقيين على شروط منها ان جراياتهم (العطاء) تصبح معادلة لجرايات اهل الشام، وان الحجاج يستدعى من بلادهم، وان ابن الاشعث يقطع مدى الحياة الطرق الذي يحبه.

ولما فشلت المفاوضات استمر القتال بين الثائرين وجيش الحكومة، ولكن الثوار ما لبثوا ان تخاذلوا وتفرقوا على قائدهم مما أدى الى فشله.

ويعلل فون كريمر انضمام الموالي الى الثورة بانه نتيجة لمطالبتهم بحقوق سياسية مساوية لحقوق العرب، وانهم أرادوا ان يتحرروا من الجزية، وان تدرج أسماؤهم في سجل العطاء الذي كان مقتصراً حتى ذلك التاريخ على العرب.

وكان الحجاج قد فرض الجزية على الموالي رغم اعتناقهم للإسلام، ويعد إجراؤه المذكور معاكساً للإجراء الذي اتخذه المختار الثقفي والذي يقضي برفع الجزية عمن اسلم من الموالي وبمساواتهم بالعطاء مع العرب. وقد فشلت تدابير المختار البناءة وحلت محلها

آراء الحجاج غير العادلة والتي كانت من العوامل التي جعلت الموالي يعملون مع غيرهم لتحطيم الحكم الاموي فيما بعد.

اهتمام الحجاج بالري وشؤون الفلاحين:

لقد حصل هدوء نسبي في الولايات الشرقية والعراق بعد فشل ثورة ابن الاشعث. وانصرف الحجاج خلال تلك الفترة وخاصة بعد ان تولى الوليد الحكم بعد وفاة ابيه عبد الملك، الى اعمار البلاد التي مزقتها الحروب واضعفت اقتصادياتها كثيراً. وعمل الحجاج على تحسين الري وجفف بعض المستنقعات، ويقال انه منع الناس من ذبح البقر حتى تتوافر لأعمال الحراثة.

الفتوحات الخارجية في عهد عبد الملك والوليد:

تولى عبد الملك الخلافة والبلاد في حالة اضطراب، وبعد ان اخمد الثورات الداخلية وجه جيوشه نحو الفتح الخارجي. فنشطت حركات الفتوحات على الجبهة الغربية تحت اشراف عبد العزيز بن مروان. وقد وجد العرب صعوبات جمة في إعادة فتح افريقية وتثبيت الإدارة في ربوعها. ومن القواد الذين اسهموا في إعادة فتح افريقية حسان بن نعمان الذي قضى على مقاومة الكاهنة، وموسى بن نصير وغيرهما.

وكان من الأسباب التي خلقت الصعوبات في وجه الجيوش الإسلامية التي أرسلت لفتح شمالي افريقية:

أولاً- استمر الرومان يساعدون السكان المحليين ويمدونهم من البحر خاصة بمدد ومؤن.

ثانياً- كان سكان شمالي افريقية من البربر الذين لا يرتبطون بالعرب بروابط عنصرية ولا لغوية لذلك لم يخضعوا بسهولة للجيوش الفاتحة.

ثالثاً- فشت دعوة الخوارج في شمالي افريقية بصورة مبكرة، ثم تلتها الدعوة العلوية لذا كانت المعارضة التي تقوم على أساس ديني قوية في كثير من أدوار حكم بني امية ثم حكم العباسيين فيما بعد.

اما الجبهة الشرقية فقد بدأت الفتوحات فيها في أواخر عهد عبد الملك، ثم تقدمت كثيراً في عهد الوليد. وكان الحجاج المنظم الإداري والسياسي الأول للفتوحات المذكورة، كما ان العراق كان المركز الرئيس لتجهيز الجيوش. ومن القادة الذين عملوا في هذه الجبهة قتيبة بن مسلم الباهلي، ومحمد بن القاسم الثقفي.

ويستطيع القارئ ان يجد تفصيلات كثيرة عن حروب عبد الملك والوليد في مظانها القديمة[1] والحديثة[2].

---

(١) انظر في هذا الصدد تواريخ الطبري، والمسعودي، وابن الاثير، وابن كثير وغيرهم.

(٢) انظر في هذا الصدد تاريخ العرب المطول لفليب حتي وصحبه، وتاريخ الإسلام السياسي لحسن إبراهيم حسن، ومختصر تاريخ العرب لامير علي وغيرهم.

فتح الاندلس

ارسل موسى بن نصير والي افريقية طارق بن زياد احد قواده للقيام بالمهمة المذكورة. وبعد ان عبرت الجيوش الإسلامية مضيق جبل طارق بنجاح وشرعت بإتمام فتح البلاد، التحق بها موسى نفسه للإشراف على الفتح. وساعدت المسلمين على فتح الاندلس عوامل داخلية وخارجية منها:

١. خلافات العوائل المالكة في الاندلس.
٢. الخلافات الدينية بين المسيحيين واليهود من جهة، وبين الطوائف المسيحية المختلفة من جهة أخرى.
٣. جدارة قيادة الجيوش الإسلامية وحسن تنظيمها.

خلافة سليمان بن عبد الملك:

تولى سليمان الخلافة بعد أخيه الوليد، واستمر على سياسة اسلافه في حرب الروم، وقد ارسل حملة جبارة لفتح القسطنطينية ولكنها لم تستطع فتحها رغم الجهود الكبيرة التي بذلت في اعدادها، ورغم النجاح الذي أحرزته في اول الامر.

سياسته تجاه قواد الوليد:

لقد اساء سليمان معاملة القواد والولاة الذين خدموا الدولة في عهد أخيه الوليد، ويعود السبب في ذلك، كما يظهر من بعض الروايات، الى تأييدهم لسياسة الوليد الرامية لخلع سليمان من ولاية العهد. وكان الحجاج اكبر المؤيدين للسياسة المذكورة ولكن

وفاته في اخريات عهد الوليد انقذته من العقاب الذي تعرض له غيره من مؤيدي تلك السياسة.

وكان موسى بن نصير من بين القواد والولاة الذين تعرضوا لعقاب سليمان، ويرى اليعقوبي ان وشاية طارق بن زياد لدى الخليفة كانت من بين الأسباب التي حملت الخليفة على عقاب موسى[1].

اما قتيبة بن مسلم الباهلي فكان عند تولي سليمان الخلافة يحارب على حدود الصين، وكان يتصور ان انتصاراته الباهرة كفيلة بان تشفع له عند الخليفة الجديد ولكن سليمان عزل قتيبة وعاقبه. وحاول قتيبة ان يعلن العصيان ولكنه فشل. ولعل تغير السياسة في دمشق تبين لنا أسباب توقف الفتوحات على حدود الصين، اما قصة يمين قتيبة وهدايا ملوك الصين الرمزية فيظهر انها موضوعة ولا تصمد للنقد التاريخي.

ومال سليمان الى اليمانيين شأنه في ذلك شأن كثير من خلفاء بني امية الذين كان بعظهم يتبنى سياسة يمانية بينما يتخذ الاخر سياسة قيسية. وكانت تلك السياسة من افضح الاغلاط التي ارتكبها الخلفاء والتي اضرت البلاد الإسلامية اضراراً كبيرة.

---

(١) التاريخ، ج ٣، ص ٣٨.

الفصل السابع:

عمر بن عبد العزيز

ولي عمر الخلافة بعد سليمان وبعهد منه. وكان قبل توليه الخلافة قد قضى شطراً من حياته في مدينة الرسول ﷺ حيث اتصل بالعلماء الذين أخذوا حينذاك يشتغلون بعلوم القرآن وتدوين الحديث. وكان للاتصال المذكور اثر في الاتجاه الديني الذي اتخذه عمر عند توليه الخلافة. وكان عمر يستشير علماء الدين في أمور الحكم، أمثال رجاء بن حيوة الذي كان مقدماً عنده[1].

وعندما يقارن فلهاوزن بين سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز يقول: «ولقد كان سليمان بن عبد الملك رجلاً متبديا صاحب متاع. اما عمر فكاد يكون زاهدا. وقد اتاحت السيادة لسليمان وسائل للمتاع لا حدود لها. اما عمر فقد القت السيادة على كاهله مسؤولية ثقيلة، وكان في كل شيء يفعله يتمثل الحساب امام عينيه، وكان يخشى دائماً ان يقصر في حدود الله»[2].

وانكر عمر اعمال اهل بيته وسماها مظالم وكتب الى عماله جميعاً «اما بعد فان الناس قد اصابهم بلاء وشدة وجور في احكام الله، وسنن سيئة سنّتها عليهم عمال السوء، قلما قصدوا قصد الحق والرفق والإحسان ومن أراد الحج جعلوا عليه عطاءه حتى يتجهز منه، ولا تحدثوا حدثاً في قطع وصلب حتى تؤامروني، وترك لعن علي بن ابي طالب عليه السلام على المنبر...»[3].

(١) اليعقوبي، التاريخ، ج ٣، ص ٥٠.

(٢) الدولة العربية وسقوطها، ص ٢٦٠.

(٣) اليعقوبي، ج ٣، ص ٤٨.

ان الصورة المثالية التي اظهرتها الروايات السابقة يمكن ان يطرأ عليها بعض التحوير اذا اخذنا الروايات التالية بنظر الاعتبار. فاليعقوبي بعد ان يقول ان عمر رد هدايا النوروز والمهرجان ورد السخر، يضيف قوله «غير انه اقر القطايع التي اقطعها اهل بيته. والعطاء في الشرف لم ينقصه ولم يزد فيه. وزاد اهل الشام في اعطياتهم عشر دنانير، ولم يفعل ذلك في اهل العراق»[١]. ويقول كولدزيهر «وفي ابان حكم هذا البيت [آل امية] كان عمر الثاني وحده وهو احد الامراء الذين تربوا في بيئة صالحة، والذي ساعد جهله بالأمور السياسية على سقوط بيته، هو الذي يمكن ان نسمع عنه انه رفض إتمام التأسيسات الحكومية اللازمة للدولة؛ وهو وحده الذي يمكن ان تصدر عنه هذه الكلمة التي قالها لبعض عماله، عندما اخبره بحالة بلده السيئة واحتياجها الى نفقة خاصة لعمارتها، فرد عليه بقوله (حصنها بالعدل، ونق طرقها من الظلم)، وهي كلمة لا يمكن ان تصدر عن الامويين»[٢].

رأي عمر في الحرب الخارجية:

يبدو ان عمر لم يكن ميالاً للتوسع الخارجي، وربما ادرك ان سعة الدولة الإسلامية في عهده بلغت درجة يحسن معها التفكير والعمل على الاحتفاظ بتلك الممتلكات الشاسعة من دون إضافة بلاد جديدة عن طريق الفتح اليها. ومن المحتمل ان عمر فضل الاهتمام بالمشكلات الداخلية الملحة على الاهتمام بالتوسع الخارجي.

اما فلهاوزن فيقول ان عمر لم يكن «ميالاً الى حروب الفتح، وكان يعلم حق العلم انها لم تكن حروباً في سبيل الله، بل من اجل الغنائم»[٣].

اما سياسة عمر نحو عمال الولايات، فتتلخص في انه اوكل المناصب الكبرى الى عمال

(١) ايضاً، ص ٤٨.

(٢) كولدزيهر، أجناس، العقيدة والشريعة (القاهرة ١٩٤٦) ص ٤٩.

(٣) الدولة الاموية وسقوطها، ص ٢٦٠ - ١.

جدد. فعزل يزيد بن المهلب عن خراسان وحبسه بتهمة احتجان أموال الغنيمة، وولى مكانه الجراح بن عبد الله الحكمي. وبعد فترة بلغ «عمر عن الجراح أمور يكرهها من انه يأخذ الجزية من قوم قد اسلموا، وانه يغزي موالي بلا عطاء، وانه يظهر العصبية...»[1] فعزله عمر عن خراسان. ووجه عمر الى البصرة عدي بن ارطاة الفزاري والى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن القرشي، والى العراق عمر بن هبيرة الفزاري. وكان عمر يهتم بالكفاءة والأمانة عند توليته للولاة.

سياسته المالية

كانت القضايا المالية والضرائب، خاصة في الامصار، من اهم الأمور التي حظيت بعناية فائقة من رجال الحكم في الدولة الاموية. وكان اصلاح هذه الناحية اول ما اتجهت اليه همت عمر بن عبد العزيز.

كان النظام المالي في الدولة الإسلامية قبل خلافة عمر بن عبد العزيز يعتمد، من الناحية النظرية على الأقل، على القواعد التي وضعها عمر بن الخطاب في هذا الخصوص. فعمر جعل الخراج على الأرض والجزية على الرؤوس، وامر ان تكون حصيلة الضريبتين الى بيت مال المسلمين. يقول أبو يوسف ان عمر قال «رأيت ان احبس الارضين بعلوجها واضع عليهم فيها الخراج، وفي رقابهم الجزية، يؤدونها فتكون فيئاً للمسلمين: المقاتلة والذرية ولمن يأتي بعدهم»[2].

وابتعدت حكومة الامويين قبل خلافة عمر بن عبد العزيز عن قواعد ابن الخطاب فيما يتعلق بتوزيع الفيء على المسلمين. اذ كانت الحكومة فيما يتعلق بأعطيات المقاتلة من المسلمين «تسير في اول الامر على مشيئتها الخاصة، فكانت تسقط من ديوان المقاتلة من

---

(١) اليعقوبي، ج ٣، ص ٤٥.

(٢) الخراج (القاهرة، ١٣٥٢ هـ) ص ٢٥.

تشاء وتفرض فيه لمن تشاء، وكانت تزيد في الاعطيات او تنقصها لمن تشاء، وكان هذا دائماً سبباً للشكوى»[١].

وبعد ان ولى عمر الخلافة حاول ان يزيل بعض أسباب التذمر، فذهب في إرضاء المطالب التي توجه الى بيت المال الى حد بعيد، «فوسع دائرة الاعطيات، حتى صارت اكثر شمولاً لغير العرب مما كانت عليه من قبل، وهو لم يقتصر على إعفاء الموالي الذين كانوا يحاربون مع العرب في خراسان من الخراج، بل جعل لهم ارزاقاً واعطيات»[٢].

وعمد عمر الى الغاء الضرائب غير الشرعية ما وسعه ذلك. وكان من بين الضرائب المذكورة هدايا النوروز والمهرجان، ودراهم النكاح، وثمن الصحف، واجور الضرابين وغير ذلك.

وتعد إجراءات عمر بخصوص ضريبتي الجزية والخراج اهم ما قام به من إصلاحات مالية كان كل من الخراج والجزية متداخلين من حيث المعنى، ويعنيان ضريبة يدفعها المغلوبون من غير المسلمين الى بيت مال المسلمين. وقد عمل عمر بن عبد العزيز على تثبيت امر الجزية والخراج على النحو التالي: قال ان الجزية تتبع الطبقة الاجتماعية، وانها تؤخذ على الأشخاص من غير المسلمين، وان من يدخل الإسلام تسقط عنه الجزية التي هي علامة الخضوع. وقال ان الخراج يدفع عن الأرض الخراجية التي هي بحوزة الأشخاص من مسلمين وغير مسلمين وعلى هذا فان دفعها من قبل المسلم لا يشينه لأنها تتعلق بارضه لا بشخصه.

ولكي يتفادى عمر النقص الذي قد يتعرض له مورد بيت المال طبق القاعدة القائلة بأن ارض الخراج هي ملك الامة الإسلامية، وان المسلمين تركوها لأهل القرى مقابل دفعهم الخراج لبيت المال، لذا لا يجوز اقتطاع أجزاء منها بتحويلها ملكاً خاصاً للمسلمين

---

(١) فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، ص ٢٨٨.

(٢) ايضاً، ص ٢٨٨.

معفى من الخراج. وتبعاً لذلك منع عمر بيع ارض الخراج للعرب وللمسلمين، اعتباراً من سنة مائة للهجرة، ولكنه لم يجعل للمنع المذكور اثراً رجعياً.

ويعد تحريم انتقال ملكية ارض الخراج اجراء تشريعيا جديداً له اعمق الأثر بالرغم من انه يستند الى الفكرة التي عمل بها أيام الفتح وهي ان الأرض بالأصل لا تعد غنيمة، بل هي فيء يعود للامة الإسلامية.

ويقول فلهاوزن في صدد تقديره لتدابير عمر بشأن الجزية و الخراج: «ولما كانت الأرض المنزرعة هي اهم ما يدفع عنه الخراج، فان اسقاط الجزية عن الداخلين في الإسلام لم يكن في الحقيقة من جانب بيت المال تضحية كبيرة. وهكذا امكن ان يفي بيت المال بحاجة الدولة الإسلامية من غير مشقة، وكان الامر تدقيقاً فقهيّاً، امر تخريج هدت اليه الضرورة القاهرة، لأننا لو نظرنا بمنظار العقل السليم لوجدنا ان الذي يؤدي الخراج في الحقيقة ليس هو الأرض، بل مالك الأرض»[1].

ويبدو من كل ما سبق ان عمر عمل جاهداً لاصلاح النظام المالي للدولة الاموية ولكن آثار تدابيره كانت مؤقتة، لان خلفاءه، كما يبدو، لم يسيروا على خطته الإصلاحية[2].

الخلاصة

كان عمر بن عبد العزيز من الخلفاء الصالحين. وقد عمل على تطبيق العدالة الإسلامية كما يفهمها، فألغى استرقاق أولاد البربر بدلاً من الجزية، وخفف الضرائب عن اهل نجران، وحاول حماية الرعية من العمال، واعتبر إدارة الامصار تعميراً لها لا استثماراً لها. وقد تصدى كثير من المستشرقين مثل فون كريمر وموللر، لانتقاد عمر، ورأوا ان اجراءاته المالية اضرت بيت المال، وانه رجل خيالي بعيد عن فهم متطلبات

(١) الدولة العربية وسقوطها، ص ٢٧٢.

(٢) اليعقوبي، التاريخ، ج ٣، ص ٥٥.

الساسة. والواقع ان عمر لم يكن كما وصفه نقاده، فالرجل لم يفرط في أموال الدولة، كما ظهر لنا اثناء البحث، كما انه حاول تطبيق ما يمكن تطبيقه من مبادئ الإسلام. وكانت المشكلة التي نالت اهتمام عمر شاقة وتتطلب حلاً سريعاً، وهي بطبيعتها لا تختلف عما جابهه الحجاج. وتتلخص المشكلة المذكورة في ان ارض الخراج كانت تتحول بسرعة الى أملاك خاصة معفوة من الضرائب. وحاول كل من الحجاج وعمر، معالجة تلك المشكلة، ولكن عمر حاول ان يستمد حلوله من مبادئ الإسلام، بينما الحجاج لم يعر تلك المبادئ كبير اهتمامه.

وقد حاول عمر ان يعيد للحكم صفته الإسلامية، كما حددها المتدينون وهو من بينهم، بعد ان اهمل حكام بني امية كثيراً من متطلبات الحكم القائم على أسس إسلامية. وتعرض الحكام الامويون من جراء ذلك الى خطر شديد، وقاومهم خصومهم باسم الله والدين تارة، وكانت المقاومة تتخذ تارة أخرى شكلاً اجتماعياً وجه فيه المقاومون هجماتهم لا للامويين حسب، بل للحكم العربي بصورة عامة. وكان جل هؤلاء من الموالي الذين كانوا ينشدون المساواة، ويعملون على احياء تراثهم الثقافي وتقاليدهم. وعمل عمر بن عبد العزيز على حل مشكلات الموالي ولكن نجاحه كان محدوداً للأسباب التي اشرنا اليها اثناء البحث. كما انه حاول استرضاء العلويين فمنع شتم علي عليه السلام من على المنابر، وارجع اليهم مقاطعة فدك التي اخذت منهم بحكم من ابي بكر وعمر.

واحسن عمر معاملة اهل الذمة من اليهود والمسيحيين فأعاد اليهم كنائسهم وكنسهم التي اغتصبت منهم.

الفصل الثامن :

المروانيون المتأخرون

تعاقب على الحكم بعد عمر بن عبد العزيز، جماعة من الخلفاء الامويين أمثال يزيد الثاني، وهشام بن عبد الملك، والوليد بن يزيد، وإبراهيم بن الوليد، ومروان بن محمد.

وعندما تولى يزيد الثاني الحكم، عزل ولاة عمر بن عبد العزيز، ثم نقض سياسته الرامية لإلغاء الضرائب غير الشرعية، فأعاد هدايا النوروز و المهرجان و السخر. ويقول ابن الاثير في هذا الصدد ان يزيد الثاني ابطل كل تدبير في الدولة لعمر بن عبد العزيز لم يرق له.

وحصلت في عهد يزيد الثاني ثورة مهمة قادها يزيد بن المهلب. وكان لتلك الثورة، رغم اخفاقها، أهمية كبرى. ويقول امير علي «ومع ان ثورة يزيد بن المهلب، التي كادت ان تقوض دعائم الخلافة الاموية، قد سحقت. فقد كانت لها نتائج بعيدة الأثر، كما ان القضاء على (أزد) اليمانية التي ينسب اليها يزيد بن المهلب في كرمان والعراق قد هز العالم العربي بأسره واشعل نار العداوة والبغضاء بين اليمانيين والحميريين[1] في اسبانيا وافريقيا والمشرق...»[2]. ويقول فلهاوزن بصدد النزاع بين يزيد بن عبد الملك و آل المهلب «وتأثر يزيد بن عبد الملك بالحجاج، فارتاب بالمهالبة... وكان تخوفه وارتيابه من مطامحهم في المشرق لهما ما يبررهما، وكانت ثورتهم سبباً في انفجار هذا البغض. ولكن افناء جميع افراد ذلك البيت القوي النابه، وهو فعلة لم يسمع بمثلها في طول تاريخ الدولة الاموية،

---

(١) لعله يقصد القيسين.

(٢) مختصر تاريخ العرب، ص ١٣٣.

كان بمثابة اعلان حرب على قبائل اليمن، وكانت نتيجة ذلك ان حكومة بني امية انقلبت حزباً يحكم باسم قيس»[1].

ومن الجدير بالذكر ان النزاع بين القيسيين واليمانيين، وتحزب الخلفاء الامويين تارة للقيسيين وأخرى لليمانيين، كان من المظاهر التي ظهرت في كثير من أدوار التاريخ الاموي. وكان النزاع المذكور دليلاً على فشل الامويين في القضاء على الروح القبلية بين العرب، كما انه كان من العوامل التي اضعفت الامويين ثم آلت الى سقوطهم.

عهد هشام بن عبد الملك

ولي هشام الخلافة سنة ١٠٥هـ. وكان هشام من اشهر خلفاء بني امية. ويصفه اليعقوبي بانه «من احزم بني امية وارجلهم». ويقول ايضاً ان هشاماً كان «بخيلاً حسوداً فضاً غليظاً ظلوماً شديد القسوة»[2]. وبعد ان يذكر امير علي سوء تصرفات يزيد الثاني، سلف هشام، والاضرار التي لحقت بالدولة نتيجة لها، يقول: كان هشام «دون ريب افضل من سلفه، واصبح جو البلاط في عهده انقى، فحل الوقار محل المجون، و طهرت المدينة من الطفيليين الذين كانوا يعيشون عالة على المجتمع، واولى المزيد من الاحترام لتقاليد البلاد وقواعد الحياة. ولكن صرامته اتخذت مظهر الكآبة، وبلغ تقتيره مبلغ البخل... [و] كان متعصباً في آرائه... وكان سريع التأثر بالوشايات. فقد كان يضحي بأقدر رجال الدولة لمجرد الشك فيهم، وادت كثرة تبديل الحكام الى نتائج سيئة الى ابعد الحدود»[3]. واستعان هشام بعدد من الولاة المشهورين أمثال مسلمة بن عبد الملك والي ارمينية وأذربيجان، وبشر بن صفوان الكلبي عامل المغرب، وخالد بن عبد الله القسري

---

(١) ايضاً، ص ٣١٢.

(٢) التاريخ، ج ٣، ص ٦٨.

(٣) امير علي، مختصر تاريخ العرب، ص ١٣٩.

عامل العراق. وكان خالد اشهر ولاة هشام، لذا عهد له بأهم منصب في الدولة. ويرى فلهاوزن ان خالداً هذا يمكن ان يعد الى حد ما في عداد زياد الحجاج. وقد جعل خالد مقر ولايته واسط، كما فعل الحجاج من قبل، وتفرغ للأعمال السلمية. واستمر خالد والياً على العراق مدة خمسة عشر عاماً تمكن خلالها ان يقوم بأعمال إدارية وعمرانية مهمة. وعمل خالد على حفظ التوازن بين القيسيين و اليمانيين، لذا لم تحدث بين الفريقين نزاعات مهمة في عهده.

ونعم العراق في عهد خالد في هدوء غير مألوف، وازدهرت الحياة الاقتصادية في البلاد. وكان ذلك نتيجة لاهتمام خالد بشؤون الري والزراعة. وعمل خالد على تجفيف المستنقعات في حوض دجلة الأدنى، واستعان في ذلك بأحد الاختصاصيين وهو حسان النبطي الذي خدم الحجاج من قبل. وتمكن خالد نتيجة لذلك من اقتناء عدد كبير من المقاطعات الخصبة التي كانت تدر عليه غلات كبيرة. وذكر الطبري ان هشام بن عبد الملك سأل حسان النبطي عن غلة خالد فقال حسان ثلاثة عشر الف الف[1]. ويذكر الطبري ايضاً أسماء ضياع خالد، ويبين ان هشاماً عزله لأنه «اعتقد بالعراق اموالاً وحفر انهاراً حتى بلغت غلته عشرين الف الف، منها نهر خالد وكان يغل خمسة آلاف الف..»[2] وكان خالد يؤخر بيع غلته فيرتفع سعر القمح. وقد عمل أعداء خالد على ايغار صدر الخليفة على عامله فعزله. ويعزو فلهاوزن أسباب عزل خالد الى ان هشاماً رغم عدم ارتيابه بخالد من الناحية السياسية، فانه «احس بشيء من الغيرة منه، وكان يستطيع في الواقع ان يعتبره منافساً من الناحية الاقتصادية، وقد ارتاب في امره ايضاً بسبب ظهوره بمظهر الرياسة والكرم، وبسبب كلمات له كان يقولها استخفافاً بهشام، وبلغت هشاماً

---

(١) تاريخ الرسل و الملوك، ج ٥، ص ٤٦٨.

(٢) ايضاً، ج ٥، ص ٤٧٥.

فتغير له وعزم على ان يعزله وان يعين مكانه يوسف بن عمر الثقفي...»[1]. وعزل خالد ثم سجن وطولب بالأموال التي اتهم في الاستيلاء عليها.

ثورة زيد بن علي

توجه زيد الى الكوفة بعد مشادة كلامية جرت بينه وبين هشام في مجلس الأخير[2]. ويمكن ان تكون المشادة الكلامية المذكورة، من الأسباب المباشرة لإغضاب زيد، وحثه على الإسراع بالثورة التي نمت واختمرت أسبابها في نفسه. ويمكن ان نجمل الأسباب المذكورة بما يأتي:

اولاً – كان زيد يشعر بانه اهل للمطالبة بحق العلويين في امامة المسلمين التي اغتصبها بنو امية منهم من دون حق، كما يعتقد العلويون وشيعتهم.

ثانياً– محاولة هشام اتخاذ النزاع القائم بين العلويين حول صدقات الرسولﷺ وسيلة للنيل من زيد لأنه كان ناقماً على سياسة الامويين بصورة عامة، وسياستهم اتجاه آل البيت بصورة خاصة.

ثالثاً– غضب زيد من هشام نتيجة لتدبير الأخير تهمة المواطأة بين زيد وبين خالد القسري، والي الخليفة هشام على العراق، حول ما زعمه هشام من إخفاء شطر من أموال القسري عند زيد[3].

رابعاً– دعوة الشيعة لزيد وتحريضهم إياه على الثورة على حكم الامويين الذين غصبوا الحكم، كما يعتقد الشيعة وآل علي.

وعندما خرج زيد من الكوفة كثر اتباعه حتى احصى ديوانه خمسة عشر الف رجل.

---

(١) فلهاوزن، الدولة العربية، ص ٣٢١ – ٢.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٤٠.

(٣) اليعقوبي، ج ٣، ص ٦٥.

وكانت بيعته التي يبايع عليها الناس: «انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسولهﷺ، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء بين اهل السواد، ورد المظالم، واقفال المتجمر، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا».

وبعد فترة أمضاها زيد للاستعداد للثورة، قابل جيش الحكومة فكانت نتيجته القتل.

وكان لمقتل زيد أثر مهم في تكتل الشيعة وازدياد غضبهم على حكم الامويين. قال اليعقوبي «ولما قتل زيد وكان من امره ما كان، تحركت الشيعة بخراسان، وظهر امرهم وظهر من يأتيهم ويميل معهم، وجعلوا يذكرون للناس فعل بني امية و ما نالوا من آل رسول اللهﷺ حتى لم يبق بلد الا فشا فيه هذا الخبر وظهرت الدعاة...»[1].

يضاف الى ما سبق ان يحيى بن زيد هرب الى خراسان واخذ يعمل على تحريض أهلها على بني امية. وكان عمله هذا ممهداً لنجاح دعوة بني هاشم التي قادها بنو العباس ووجهوها لمصالحهم.

وكان لموت زيد نتيجة أخرى، وهي ان موته أزال من طريق الدعوة العباسية منافساً قوياً[2].

افريقية والاندلس

سارت الأمور في افريقية والاندلس على ما يرام نسبياً خلال فترة طويلة من عهد هشام. وقد الحقت بعض الولايات بالإمبراطورية بعد فتحها أمثال سردينيا وصقلية، وسراكوسا وبعض أجزاء من فرنسا.

---

(١) التاريخ، ج ٣، ص ٦٦.

(٢) امير علي، المصدر السابق، ص ١٥٥.

وبالرغم من ذلك فقد قام البربر و الخوارج بثورة عنيفة في افريقية ضد حكم بني امية، وكان من بين هؤلاء جماعة من سكان موريتانية عرفوا بالصفرية. وكان هؤلاء شبيهين بالازارقة في المشرق. ونقم هؤلاء على ابن حاكمهم الذي ناب مناب ابيه في طنجة، لانه حاول فرض ضريبة الجزية على المسلمين. واتفق الصفرية مع البربر وقتلوا الحاكم نفسه واستولوا على طنجة.

وقد عهد هشام بعد الثورة بولاية افريقية الى حنظلة بن صفوان الذي تمكن من اخماد ثورة البربر، وأعاد الامن و النصاب الى تلك الربوع، وخلت البلاد من الفتن و الاضطرابات طيلة أيام حكمه فاستعادت افريقية في عهده شيئاً من الازدهار.

اما الاندلس فكانت في عهد هشام ولاية خاضعة للدولة الاموية. وقد انتشر الإسلام بين كثير من سكانها، كما ان مزايا النظام الإسلامي وتقاليد المسلمين وجدت طريقها الى نفوس الكثيرين منهم. وكانت تلك الولاية تشكو من عوامل ضعف مهمة منها بعدها عن السلطة المركزية في الشام، واعتبار الامويين لها ولاية ثانوية تابعة لافريقية، واستمرار النزاع بين القيسيين واليمانيين فيها.

وتولى الاندلس عدد كبير من الولاة اشهرهم عبد الرحمن الغافقي. وكان عبد الرحمن، فضلا عن نبوغه العسكري، من الحكام القديرين. وعامل عبد الرحمن جميع الطبقات على قدم المساواة، من دون تمييز بين العنصر والمذهب، وأعاد الكنائس الى أصحابها الشرعيين بعدان كانت قد اغتصبت منهم. وأعاد النظر في الإدارة المالية. وعمل عبد الرحمن على تكوين جيش قوي جداً لمحو اثار الهزيمة التي مني فيها العرب قبل عهده في تولوز.

وسار عبد الرحمن لغزو شمال فرنسا سنة ٧٣٢م فاستولى على مدينة «ارنس» بعد معركة دامية، كما استولى على «بوردو» وانزل بأمير اكواتين، الذي حاول عرقلة زحفه على «دوردون» هزيمة منكرة.

وقد هاج تقدم الغافقي ذعر الامـراء المحليين فاستنجدوا بشارل مارتل زعيم الافرنج. فلبى طلبهم وزحف بجيشه لملاقاة عبد الرحمن فدارت معركة رهيبة على مقربة من نهر اللوار بين الفريقين كانت تعرف بالتاريخ العربي ببلاط الشهداء، انتصر فيها الفرنج. وقد بالغ المؤرخون الافرنج بأهمية تلك المعركة وعدوها من المعارك الفاصلة، والواقع انها لم تكن كذلك، وان العرب اعادوا تنظيم قوتهم بعد قليل وهجموا على بلاد الافرنج. ويقول امير علي بصدد المعركة المذكورة: «ويصور المؤرخون الرهبان خسارة العرب بانها بلغت ٣٦٠ الف رجل، أي ما يزيد على أربعة اضعاف العدد الذي دخل فيه عبد الرحمن فرنسا فعلاً! وهذه المبالغة انما تنضج، اذا علمنا انها لم تمض بضعة اشهر حتى أعاد المسلمون هجومهم، بالرغم من الفتن والاضطرابات الداخلية، بجيش لجب، ولو انه لم يكن مزوداً بالعدة والنظام اللذين كان جيش عبد الرحمن مزوداً بهما من قبل»[1].

ونختم الحديث عن عهد هشام بن عبد الملك بكلمة عن أهمية ذلك العهد. يعد عصر هشام من اهم عصور الدولة الاموية في المشرق. وكان هشام اكثر خلفاء بني امية اهتماماً بالزراعة وعمار الأراضي. يقول المسعودي كان هشام «يجمع الأموال، ويعمر الأرض»[2]. واهتم هشام بإعمار ارض العراق خاصة، فجفف كثيراً من المستنقعات وحولها الى مقاطعات غنية.

وللأستاذ (كَب) رأي في عصر هشام يقول فيه: أيس الامويين، بعد فشل حملة ٧١٨م، من احتلال القسطنطينية، وقل اهتمامهم في اقتباس التقاليد الرومانية، واتجهوا نحو الشرق. وظهر التغير المذكور منذ ان تبنى عمر الثاني سياسته الإسلامية، ثم اتسع الاتجاه نفسه في عهد هشام. ومما ساعد على ظهور ذلك الاتجاه هو ان العراق اخذ يحتل مركزاً ممتازاً في عالم الثقافة الإسلامية، وفي الإمبراطورية ايضاً، وكان الاتجاه فيه فارسياً وليس

(١) امير علي، مختصر تاريخ العرب، ص ١٥١.

(٢) مروج الذهب، ج ٣، ص ١٣٩.

بيزنطياً. وشعر هشام بالمركز الذي اخذ يحتله العراق و الشرق عامة في امبراطوريته، لذا تخلى عن سياسة اسلافه الرامية الى تأسيس امبراطورية عربية تكون بمثابة وريثة للإمبراطورية الرومانية. ويمكننا ان نستنتج ان هشاماً عمل على تأسيس امبراطورية عربية تستند الى التقاليد الساسانية. وسار مروان الثاني على سياسته، وتم ذلك عندما أسس العباسيون بغداد.

تولى الخلافة بعد هشام الوليد بن يزيد ودام حكمه سنة واحدة وثلاثة اشهر. وكان الوليد، كما يقول المسعودي «صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء، وهو اول من حمل المغنين من البلدان اليه، وجالس الملهين... وفي أيامه كان ابن سريج المغني، ومعبد، والغريض وابن عائشة، وابن محرز، وطويس، ودحمان...»[1].

وثار في أيام الوليد يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بالجوزجان من بلاد خراسان «منكراً للظلم وما عم الناس من الجور». وتمكنت حكومة الوليد من التغلب على ثورة يحيى، ولكنها خسرت كثيراً لان الناس، وخاصة في خراسان، استنكروا عملها استنكاراً كبيراً اذ «اظهر اهل خراسان النياحة على يحيى بن زيد... ولم يولد في تلك السنة بخراسان مولود الا وسمي بيحيى او بزيد لما داخل اهل خراسان من الجزع والحزن عليه»[2]. وكان خروج يحيى في آخر سنة ١٢٥هـ واوائل سنة ١٢٦هـ، أي قبيل قيام ممثلي الدعوة الهاشمية[3] التي اطلق عليها الدعوة العباسية بالثورة على بني امية بقيادة مسلم الخراساني.

وبعد وفاة الوليد بن يزيد، قام بأمر بني امية يزيد وابراهيم ابنا الوليد بالتعاقب ولم يدم حكمهما طويلاً، فآلت الخلافة الى مروان الثاني المعروف بالجعدي وهو اخر خلفاء بني امية.

---

(١) مروج الذهب، ج، ص ١٤٦.

(٢) ايضاً، ج ٣، ص ١٤٥ – ٦.

(٣) اليعقوبي، ج ٣، ص ٧٢.

مروان الثاني

بويع مروان بدمشق سنة سبع وعشرين ومائة، وبقي في الحكم حتى سقوط الدولة الاموية سنة ١٣٢هـ.

لقد جرب مروان الإدارة والحكم قبل توليه الحكم. وكانت قوته على الصبر قد اكسبته لقب الحمار، لا على سبيل السخرية، بل اعترافاً بقوته الجسدية والإدارية. وعرف عن مروان حبه لجنده ورغبته في العيش معهم في السلم و الحرب. وكانت الاضطرابات منتشرة عندما تولى مروان الحكم فانصرف للقضاء عليها. وكانت حمص ثائرة فهدأ مروان ثورتها. وقد اشغلت ثورات الخوارج في الجزيرة والحجاز وغيرها كثيراً من أوقات الخليفة.

وينسب لمروان انه انشأ نظام الكراديس، وهي وحدات من الجيش صغيرة كانت اكثر تماسكاً فيما بينها واسرع حركة.

وعمل مروان على إحلال نظام الكراديس محل نظام الصفوف الطويلة الذي كان فيه الجند يحاربون على شكل صفوف طويلة طبقاً للعادة العربية القديمة. وكانت القبائل تؤلف فرق الجيش في النظام القديم، واخذ النظام المذكور بالانحلال واحلت محله فرق بالمعنى الحقيقي لتكون صلب الجيش. وحل القواد المحترفون محل رؤساء القبائل. ويبدو ان دخول التغيرات المذكورة سبق عهد مروان، ولكن تطبيقها والاستفادة من مزاياها حصل في عهده.

ولم يسلم مروان بن محمد، شأنه شأن الكثير من خلفاء بني امية، من التعصب والمنازعات القبلية. فمال الى القيسيين واستعان بهم في حكم الدولة، بينما ابعد اليمانيين

عن الحكم فأثار حفيظتهم عليه من جهة، وأذكى نار الحقد بينهم وبين القيسيين من جهة أخرى.

وارتكب مروان خطأ كبيراً في تفضيله الإقامة في حران على دمشق. وقد جر هذا على مروان عواقب خطيرة، ذلك أنه بعد حرمان دمشق من مكانتها، احس الشام كله – عدا الأجزاء الشمالية – أنه ايضاً قد انتزع منه السيادة. ونتيجة لذلك أعاد كثير من أهل الشام النظر في ولائهم للخليفة مروان، وأيدوا الطامعين من بني امية في الخلافة[1].

الحالة في خراسان واثرها في تأييد الخراسانيين لدعوة بني العباس

كانت الأغلبية العظمى من سكان خراسان من الموالي (المسلمون غير العرب). وكان مركز الموالي الاجتماعي دون مركز العرب. اما حالتهم الاقتصادية فلم تكن تبعث عن الرضا، اذ لم يساو الامويون، ما عدا عمر بن عبد العزيز، بينهم وبين غيرهم في دفع الضرائب. ولم يعفهم دخولهم الإسلام من دفع الضرائب التي كانوا يدفعونها قبل اسلامهم. وحرم مقاتلة الموالي، فضلاً عن ذلك، في اغلب عهود الدولة الاموية من الرواتب السنوية (الاعطيات) التي يتقاضاها الجنود حسب النظام الذي وضعه عمر بن الخطاب. وحاول المختار ومن بعده عمر بن عبد العزيز ان يساوي بين المحاربين العرب والموالي في العطاء ولكنهما لم ينجحا، لان من جاء من بعدهما من الحكام لم يتقيد بتدابيرهما في هذا الخصوص.

اما حالة الموالي السياسية، فإنها لم تكن تبعث عن الرضا، اذ حرمهم الامويون من الوظائف العالية في الدولة أمثال وظائف الجيش والقضاء. ان ما قلناه عن الموالي فلا يقتصر على سكان خراسان منهم، بل يصدق على جميع الموالي في عهد الامويين.

---

(١) فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، ص ٣٦٧ – ٨.

وقد حاول نصر بن سيار، آخر ولاة بني امية في خراسان، ان يصلح نظام الضرائب في ولايته، ولكن تدابيره جاءت متأخرة من جهة، وان اصلاحاته اضرت بالمصالح الخاصة للدهاقين (رؤساء القرى) من جهة اخري، فلم تساعد على إزالة أسباب تذمر الموالي، ولهذا لم تستطع تلك التدابير ان تثنيهم عن تأييد الدعوة العباسية التي كان قاداتها يعملون بجد حينذاك لإسقاط الدولة الاموية.

وقبل ان نشير الى إصلاحات نصر بن سيار المالية، يجب اخذ النقاط الآتية بنظر الاعتبار:

أ. ان العرب استندوا، في الغالب، الى أنظمة الضرائب السابقة ولم يحدثوا فيها تغييرات أساسية.

ب. عندما فتح المسلمون خراسان عقدوا مع امراء المقاطعات والمدن اتفاقات تعهدوا بموجبها ان يدفعوا ضريبة سنوية مشتركة تسمى مرة جزية، ومرة وظيفة، ومرة خراجاً، ومرة اتاوة.

ج. ونتيجة لوجود الاتفاقات المذكورة في (ب) لم يكن هناك، قبل عهد نصر بن سيار تفريق واضح بين ضريبة الجزية (ضريبة الأشخاص) وبين ضريبة الخراج (ضريبة الأرض).

وعمل نصر بن سيار على وضع يقضي بأن يجبى الخراج بالمقدار الثابت الذي تقرر على المدن والنواحي، كل على وحدتها، ومن الأرض وحدها، وعلى هذا حدد مقدار الخراج من جديد، وصار يأخذ من جميع ملاك الأرض بحسب ما يملكونه، سواء كانوا مسلمين او كانوا رعايا غير مسلمين خاضعين للدولة الإسلامية. ولما كان الخراج يؤخذ من عين ارض لا من الشخص الذي يملكها، فلم يكن في ذلك ما يشعره بالصغار. وقد حدث مع ذلك جنباً الى جنب فصل تام بين خراج الأرض فاصبح وحجه هو الذي يسمى

خراجاً – وبين ضريبة الراس التي بقي لها اسم الجزية[1].

ونتيجة للنظام السابق الذي وضعه نصر، اصبح الفرد يدفع ضريبة الخراج على مساحة الأرض التي يملكها، فتزيد تلك الضريبة ان كان يملك ارضاً واسعة وتقل ان كان يملك ارضاً صغيرة المساحة. بينما كان الافراد فيما سبق، رغم تفاوت مساحة ملكياتهم، يدفعون ضرائب متساوية المقادير لان الضريبة المفروضة على القرية او المدينة تقسم حسب اتفاقيات الفتح على عدد سكانها بما فيهم المسلمون. ولما كان الدهاقين يملكون، في الغالب، مساحات اكبر مما يملكه الفلاحون الاعتياديون، اصبحوا بموجب نظام نصر يدفعون ضريبة اكبر مقداراً مما يدفعه أولئك الفلاحون. ونتيجة لذلك تذمروا من النظام الجديد واخذوا ينضمون للدعوة العباسية التي كانت بدورها السري حينذاك.

اما ضريبة الرأس، التي كانت تختلف في المقدار، وكان ما يتحصل منها يقل عاماً بعد عام كلما زاد عدد الداخلين في الإسلام، فقد صارت باباً يمكن الاستغناء عنه في الخراج الثابت للدولة، وخصوصاً انها اسقطت عن المسلمين بالكلية وأصبحت تؤخذ من غير المسلمين فقط.

وهكذا وفق نصر لتلبية مطالب الإسلام التي لا تتيح اخذ الجزية من المسلم، كما انه خفف عن كاهل الفلا حين ألزمَ الدهاقين بدفع ضرائب عن ملكياتهم حسب مساحتها. وكانت تدابير نصر فيما يتعلق بالجزية شبيهة الى حد كبير بتدابير عمر بن عبد العزيز التي أخفقت من قبل نتيجة لأسباب كان من بينها امتناع خلفائه من قبولها.

وفي الوقت الذي كانت فيه تدابير نصر المالية توضع موضع التنفيذ، كان دعاة بني العباس يعملون على تقويض اركان الدولة الاموية في خراسان.

وكانت موجة التذمر من السياسة الاموية في تلك الولاية قد بلغت اشدها، واخذ

---

(١) فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، ص ٤٥٥ – ٦.

الاستياء ينتقل من صفوف الطبقة العامة الى صفوف الطبقة الارستقراطية، خصوصاً بعد تنظيمات نصر بن سيار المالية، تلك التنظيمات التي جردت الدهاقين من كثير من امتيازاتهم الاقتصادية، كما سبق ان شرحنا لك قبل قليل.

وتسربت الدعوة الرامية لإرجاع الحكم الى آل بيت الرسولﷺ من العراق مركز الشيعة الى خراسان. وانضم انصار العلويين، وخاصة الزيدية منهم، الى الدعوة الجديدة التي أسندت قيادتها في هذا العهد الى أبي مسلم الخراساني. وتمكن ابو مسلم بدهائه ان يخفي نواياه الحقيقية تلك النوايا الرامية لتوجيه الدعوة الى بني العباس دون غيرهم من آل النبيﷺ. وانخدع الشيعة بما كان يظهره أبو مسلم وايدوه بصورة فعالة. ويقول فلهاوزن، في معرض كلامه عن تأييد اهل خراسان لثورة يحيى ابن زيد، وما اثاره استشهاده من سخط لدى الجميع «واذا كان أبو مسلم قد ظهر بمظهر المطالب بثأر يحيى، فانه كان لا شك يعلم تأثير ذلك في النفوس، وهو بذلك ضرب نغمة وجدت صدى عند الجميع». ويستمر فلهاوزن بكلامه عن علوي آخر ثار على بني امية ولما فشلت ثورته ذهب الى خراسان بحثاً عن مكان امين، فيقول: «ولكن اخطأ ظنه [العلوي] في أبي مسلم، لان أبا مسلم لم يكن عنده مكان لعلوي حي اكثر مما كان عنده لعلوي ميت، فدس على ابن معاوية [عبد الله بن معاوية بن جعفر] من قضى عليه سراً»[1].

ويقول هنري ماسية، في معرض كلامه عن الدعوة الشيعية واستغلال العباسيين لها: «ولكن اشياع العلويين اضطروا مرة أخرى ايضاً، وسيدركون ذلك بعد فوات الأوان، الى ان يعملوا في سبيل آخرين...»[2].

ولم تقدر مقدرة ابي مسلم في كسب انصار العلويين للقضية العباسية وحسب، بل انه استطاع ان يجذب أكثرية اهل خراسان الى جانبه. ذكر الطبري ان إبراهيم الامام امر أبا

---

(١) فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، ص ٤٧٤.

(٢) الإسلام، ص ٧٣.

مسلم بالذهاب الى شيعته في خراسان، وأمرهم بإظهار الدعوة و التسوية فقدم أبو مسلم الى مرو يحمل كتاباً الى سليمان بن كثير الخزاعي «فنصبوا أبا مسلم وقالوا رجل من اهل البيت فوافاه في يوم واحد اهل ستين قرية»[1].

وبعد ان استكمل أبو مسلم استعداده في خراسان هاجم والي الامويين هناك وقضى على مقاومته. ثم وجه جيشاً للعراق فاحتل الكوفة. وبعد فترة اعلن انصار بني العباس قيام الدولة العباسية التي عمل حاكمها على دحر الامويين بقيادة الخليفة مروان بن محمد في معركة الزاب الشهيرة التي جرت في الحادي عشر من جمادي الآخرة سنة ١٣٢هـ.

* * *

(١) تاريخ الرسل و الملوك، ج ٩، ص ٨٣.

المصادر

١. أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم. الخراج. (القاهرة، ١٣٥٢هـ).

٢. ابن الاثير، علي ابن ابي الكرم، الكامل. (القاهرة، ١٢٩٠هـ).

٣. ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة. (القاهرة، ١٩٣٠هـ).

٤. ابن شام، عبد الملك، السيرة. (القاهرة، ١٩٣٧هـ).

٥. الازرقي، تاريخ مكة. (القاهرة، ١٩٣٠هـ).

٦. الاصفهاني، أبو الفرج،الأغاني، ج ٢. (القاهرة، ١٣٢٣هـ).

٧. البخاري، الصحيح، ج ٤ (القاهرة، ١٩٣٢هـ).

٨. البلاذري، احمد بن يحيى، فتوح البلدان. (القاهرة، ١٩٣٢هـ).

٩. الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين. (القاهرة، ١٩٢٨هـ).

١٠. الديلمي، محمد، ارشاد القلوب، ج ٢. (بيروت، لا. ت).

١١. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١. (حيدر آباد، ١٣٣٣هـ).

١٢. الزرنوجي، تعليم المتعلم. (القاهرة، لا. ت).

١٣. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ. (القاهرة، ١٣٤٩هـ).

١٤. ابن سعد، الطبقات. (ليدن، ١٣٢٢هـ).

١٥. السهمي، تاريخ جرجان. (حيدر آباد، ١٩٥٠).

١٦. الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤال في مناقب آل الرسول (طهران، ١٣١٤هـ).

١٧. الشهيد الثاني، زين الدين العاملي، منية المريد في آداب المفيد والمستفيد. (طهران، ١٣١٤هـ).

١٨. ابن طاووس، علي بن موسى، فرج المهموم في معرفة علم النجوم. (النجف، ١٣٦٨هـ).

١٩. الطبرسي، الحسن رضي الدين، مكارم الاخلاق. (القاهرة، ١٣١١هـ).

٢٠. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك. (القاهرة، ١٩٣٩هـ).

٢١. الطبري، محمد بن جرير، التفسير، ج ١. (القاهرة، ١٣٧٤هـ).

٢٢. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٢. (القاهرة، ١٢٩٣هـ).

٢٣. العسقلاني، ابن حجر، شرح البخاري، ج ١. (القاهرة، ١٣١٩هـ).

٢٤. الغزالي، محمد بن محمد، احياء العلوم، ج ١. (القاهرة، ١٩٣٣هـ).

٢٥. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس. (القاهرة، ١٣٥٦هـ).

٢٦. الكشي، محمد بن عمر، الرجال. (كربلاء، لا. ت.).

٢٧. الكلبي، هشام بن محمد، الاصنام. (القاهرة، ١٩١٤هـ).

٢٨. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي. (تبريز، ١٣١٢هـ).

٢٩. المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ج ١. (طهران، ١٣١٥هـ).

٣٠. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب (القاهرة، لا. ت.).

٣١. المفيد (الشيخ) الارشاد (طهران، ١٣٧٧هـ).

٣٢. المفيد (الشيخ) الفصول المختارة من العيون والمحاسن، ج ٢.(النجف، لا.ت).

٣٣. النقري، نصر بن مزاحم، واقعة صفين. (القاهرة، ١٣٦٥هـ).

٣٤. النوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة. (استانبول، ١٩٣١م).

٣٥. اليعقوبي، احمد بن واضح، التاريخ. (النجف، ١٣٥٨هـ).

المراجع

أ. المراجع العربية:

١. جبور، جبرائيل، عصر ابن ابي ربيعة، ج ١. (بيروت، ١٩٣٠م).

٢. حسن، إبراهيم حسن، النظم الإسلامية. (القاهرة، ١٩٣٩م).

٣. حسين طه، الفتنة الكبرى، ج ١. (القاهرة، ١٩٤٧م).

٤. الحوفي، احمد الحياة العربية في الشعر الجاهلي، ج ١. (القاهرة، ١٩٤٩م).

٥. الحيدر آبادي، حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية (القاهرة، ١٩٤١م).

٦. الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول (بغداد، ١٩٤٥م).

٧. الدوري، عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام. (بغداد، ١٩٤٩).

٨. العسكري، مرتضى، عبد الله بن سبأ. (القاهرة، ١٣٨١هـ).

٩. علي، امير، مختصر تاريخ العرب. (بيروت، ١٩٦١هـ).

١٠. علي، جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١. (بغداد، ١٩٥٠م).

١١. العلي،صالح احمد، محاضرات في تاريخ العرب. (بغداد، ١٩٥٢م).

١٢. كاشف الغطاء، محمد حسين، اصل الشيعة واصولها. (بيروت، لا.ت).

١٣. كولد زيهر، اجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام – ترجمة محمد يوسف وعبد العزيز عبد الحق. (القاهرة، ١٩٦١م).

١٤. فلهاوزن، يوليوس، الدولة العربية وسقوطها – ترجمة عبد الهادي عبد ريدة. (القاهرة، ١٩٥٨م).

١٥. فلهاوزن، يوليوس، الخوارج والشيعة – ترجمة عبد الرحمن بدوي. (القاهرة، ١٩٥٨م).

١٦. ماسيه، هنري، الإسلام – ترجمة بهيج شعبان. (بيروت، ١٩٦٠م).

١٧. ١٧ – الهاشمي، علي، المرأة في الشعر الجاهلي. (بغداد، ١٩٦٠م).

ب . المراجع الأجنبية :

Lewis، B.، The Arabs in History، New York، 1950 .

Gibb، H. A. R.، And Kramers، J. H. eds. " Umar Ibn Al- Khattab "، Shorter Encyclopaedia of Islam.

ج . المجلات:

Hamidullah، M.، " The Educational System in the Time of the Prophet، " Islamic Culture، Vol. 13، No. 1 January، 1939.

* * *

للمؤلف

١. تاريخ البرامكة (نفذ).

٢. تاريخ الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ (نفذ).

٣. تاريخ العرب الفه بالاشتراك مع احد الزملاء .

٤. الجغرافية المتوسطة الفه بالاشتراك مع لجنة.

٥. مرشد طالب البكلوريا الى الجغرافية المتوسطة الفه بالاشتراك مع احد الزملاء.

٦. مشاهداتي في تركية.

٧. مشاهداتي في ايران.

٨. تاريخ العرب الفه بالاشتراك مع لجنة.

٩. الاجازات العلمية عند المسلمين.

١٠. مشكلة الأراضي في لواء المنتفك (الناصرية).

١١. محاضرات في تاريخ صدر الإسلام و الدولة الاموية.

من كتب المؤلف المعدة للطبع:

١٢. تاريخ التربية عند الامامية بين عصري الامام الصادق والشيخ الطوسي. أطروحة للدكتوراه قدمت للجامعة الامريكية بيروت).

١٣. تاريخ الشيعة في عهد الخلافة العباسية.

١٤. تدوين التاريخ عند المسلمين.

١٥. الحالة الثقافية في الحجاز في عصر الرسالة.

١٦. السلطة بين الخلفاء والامراء في عهد الخلافة العباسية.

دراسات في المجلات:

١. تدوين التاريخ عند المسلمين» مجلة الأستاذ تصدرها دار المعلمين العالية ببغداد. المجلد الرابع ١٩٥٥م.

٢. أ. «تدوين التاريخ عند المسلمين» مجلة الأستاذ تصدرها دار المعلمين العالية ببغداد. المجلد الخامس. ١٩٥٦م.

ب . نقد وتعليق على كتاب «محاضرا في تاريخ العرب» للدكتور صالح احمد العلي.

٣. «الحالة الثقافية في الحجاز قبيل الإسلام» مجلة الأستاذ. تصدرها كلية التربية – جامعة بغداد. المجلد العاشر ١٩٦٢م.

٤. «الزراعة والتجارة في العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر» مجلة الأستاذ. العدد الحادي عشر، ١٩٦٣م.

٥. « التعليم في عهد الرسول و الخلفاء الراشدين» مجلة الأستاذ العدد الثاني عشر ١٩٦٤م.

٦. أضواء على مشلات الإصلاح الزراعي في لواء الناصرية. من الابحاث المقدمة الى المؤتمر الشعبي لمناقشة مشاكل الإصلاح الزراعي ومعالجتها ١٥ – ١٧ آب ١٩٦٣م.

٧. «العقل عند الغزالي» مجلة رسالة الإسلام – تصدرها كلية أصول الدين ببغداد. العدد الثالث ١٩٦٦م.

٨. «دور الامام الصادق في التربية والتعليم عند الامامية» رسالة الإسلام – تصدرها كلية أصول الدين ببغداد العددان الخامس والسادس ١٩٦٦م.

٩. «كتب الأمالي عند الشيعة الامامية» بحث القي في المؤتمر الثقافي لجمعية الرابطة الأدبية في النجف الاشرف. نشر ملخصه بكراس أصدرته الجمعية المذكورة (النجف، ١٩٦٦).

١٠. «الخلافة العباسية في العهد البويهي» مجلة رسالة الإسلام. تصدرها كلية أصول الدين ببغداد. العددان الأول و الثاني ١٩٦٧م.

١١. «الخلافة العباسية في عهد السلاجقة» مجلة رسالة الإسلام. تصدرها كلية أصول الدين ببغداد. العددان الثالث والرابع ١٩٦٧م.

المحتويات

